16 em Année No. 786

Lundi — 26 — 7 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٨٦ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ رمضان سنة ١٣٦٧ — ٢٦ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

الفريقان المتحاربان في فلسطين

الحـــــق والباطل

للدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر المفوض لدى المملكة السعودية

يحترب في فلسطين فريقان : فريق العرب يذود عن ذماره ، ويدفع عن حقه ، ويدعو إلى النصفة والعدل ، وإلى أن يعيش هو وخصمه أمة واحدة في بلد واحد ، لكل حقه وعلى كل واجبه

وفريق آخر من شذاذ الآفاق وخبث الأقطار ، يلجون على العرب ديارهم بأيديهم المال والسلاح ، وما أورثهم تاريخهم والعيش الذليل في أوربا من ختل وغدر ، يظنون أنهم صاروا أمة لأن باطلا يجمعهم ، وعدوانا يربط بينهم ، وكل فرقة منهم تنمى إلى أمة ، وكل جماعة تنتسب إلى بلد ، وكل فرد يحمل سحنة تنافر سحنة أخيه ولا تشبهها إلا في سمات اللعنة فيها ، ومياسم الخزى عليها

ويقول هؤلاء الأرذلون : لا نرضى نصفة معكم ولا مساواة بكم ولكنا نريد وطناً ودولة وأنف الحق راغم ، ودعوة العدل صاغرة وإن لنا قوة من سلاحنا ومالنا وحيلنا وغدرنا وخيانتنا . ولنا أعوان في اوروبا وأمريكا يسحرون بالمال ، ويسخرون بكل الوسائل رؤساء الدول ، وأئمة الساسة ، وأصحاب الصحف ، وبيدهم المصارف ، ودور السينما وكل وسائل النشر والتضليل ، فيا أيها العرب المساكين ! افسحوا المجال لدولة إسرائيل!

ويقول العرب : لا لا بل تعالوا إلى كلمة سواء ، نسويكم أيها الطراء المتطفلون بأهل البلاد الذين أقرهم التاريخ فيها لا يعرفون غيرها وطنا ، ولا يتخذون غيرها داراً ، فهلموا إلى الدولة الواحدة ، والشريعة العادلة ، والتآخى والتناصف .

فتقول هذه الوجوه الملعونة ، وهذه الفئات الطريدة : لا لا إن أرضكم لنا ، وديارکم لدولتنا ، فانزلوا على حكمنا صاغرين ...

ويحمى العربى ، وهو سمح لا خنوع ، وجواد لا جبان ، وحليم لا ذليل ، ويستنصر حقه ، ويتوكل على ربه ويستمد سجاياه وشيمه ، وأخلاقه ومكارمه ، ثم يستوحى تاريخه ويحشد مآثره فيستبق إليه من أحداث تاريخه ومآثر أمته ما يثبته في المحنة ، ويوقره في الشدة ، وينثال إليه من عز ماضيه ومجد سلفه ما يهون عليه كل خطب ، ويقحمه كل هول .

ويصول عليه عدوان اليهود ومن ورائه مدد من قوى أوروبا وأمريكا ، وتدور به خدع المخادعين وتهاويل المهولين ، وهو العربى الذى يعرف نفسه ويعرفه التاريخ ، ويهزأ بالشدائد إذا جد الجد . ويحقر الأهوال إذا اشتد البأس .

فأثبت في مستنقع الموت رجـــله
وقال لهـــا : من تحت أخمصك الحشر

إن العربى يعرف ما في أيدى أعدائه وأعوان أعدائه من مكر ،

وما لديهم من مال وسلاح ، وما عندهم من علم وفن ؛ ولكنه يعرف كذلك ماله من حق، وما عنده من كرامة ، وما فيه من إباء، وما يمده به تاريخه من ثبات فى الأزمات ، وصبر فى الخطوب . فيقدم على الأهوال ذاكراً قول سلفه .

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويتقدم فيزيده الهول مضاء ، والنار صفاء ، منشدا :

فإن تكن الأيام فينا تبدلت بنعمى وبؤس والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة تحمل مالا تستطيع فتحمل
وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا فصحت لنا الأعراض والناس هزَّل

حسب الصهيونيون أن الأمم مال وربا ، وأشكال وألوان ، وهيا كل وجدران ، وبغى وعدوان ، وغفلوا عن حقيقة الإنسان الإنسان الكريم ، نفس كريمة ، وقلب شجاع ، وخلق أبى ، وما وراء ذلك صور وزخارف ، وخدع وأباطيل ، تذوب إذا وقدت النار ، وتبوخ إذا حمى الوطيس .

ألا ساء فأل الأوغاد ، وخاب ظنهم حين زينت لهم أموالهم وزخارفهم أنهم للعرب أكفاء وأنداد . فلتبطل دعواهم الوقائع ، ولتكذب ظنونهم المعارك .

ألا إنه إن تحدى باطل الصهيونيين حق العرب ، وجرؤ شذاذ الآفاق على خير الأمم ، ولم يلقوا كفاء بغيهم من ردع ، وجزاء عدوانهم من خزى .

فيا موت زرا إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل

أيها العرب الأباة ! إنه يوم له مابعده ؛ فاصدعوا الأهوال بقلوب متفقة ، وأيد مجتمعة ، وامضوا إلى الغاية التى هى بكم أجدر ، وبتاريخكم أليق . إنكم تقاتلون حيث قاتل آباؤكم فى اليرموك وأجنادين وحطين، وقد حطموا الباطل فى كبريائه ، وردوا البغى فى غلوائه ، فزلزلوا بهؤلاء البغاة الديار ، وردوا جند الصهيونيين بالخزى والدمار . واتركوها على التاريخ مأثرة إلى مآثر آبائكم ، وسجلوها على الأيام مفخرة إلى مفاخر أسلافكم .

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون والله معكم . »

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

مشاهدات وملاحظات :

تحية العلم ...

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

المستشار الثقافى لجامعة الدول العربية

كانت جزيرة « كورفو » منتهى الرحلة الثانية من مراحل سفرتى من بغداد إلى المغرب الأقصى قبيل الحرب العالمية الأخيرة هبطت بنا الطيارة المائية المطار البحرى فى المضيق الذى يفصل الجزيرة من البر ، وقت العصر ؛ ثم نقلتنا السيارة من هناك إلى فندق فى المدينة لنقضى الليلة فيه ، على أن نعود فى فجر اليوم التالى إلى المطار لنستأنف السفر نهاراً .

والطريق الذى يمتد بين المطار والمدينة كان طويلاً ، يمر من بين مزارع جميلة وقرى صغيرة ؛ شاهدنا فيها عدداً غير قليل من الرجال والنساء والأطفال ، كلهم فى ملابس أنيقة كأنهم فى يوم عيد ، وكلما اقتربنا من المدينة رأينا علائم الزينة تزداد شيئاً فشيئاً ... إلى علمنا أن ذلك اليوم كان فعلا من أيام الكرنفال .

* * *

كنت قد زرت هذه الجزيرة الجميلة مراراً ؛ غير أن تلك الزيارات كانت قديمة العهد جداً ؛ لأنها كانت تتصل ببداية حياتى التدريسية فى حاضرة « الأبير » — يانيا — التى كانت يومئذ مركز ولاية تابعة للدولة العثمانية .

فكان من الطبيعى أن أشعر برغبة شديدة فى التجوال فى المدينة قبل حلول الليل ، بغية تجديد تلك الذكريات القديمة ومشاهدة الجزيرة — فى عهدها الحالى — بعد مرور هذه السنين الطويلة . فما كدت أعرف غرفتى وأضع فيها حقيبتى ، حتى خرجت من الفندق إلى الشوارع التى تمج بضجيج الكرنفال . وأخذت أسير فى الطرق والميادين دون أن أسترشد بدليل ، غير مواكب التهريج نفسها .. إلى أن وصلت إلى الميدان الفسيح الذى يقع فى ظاهر المدينة ، حيث تلتقى شوارع عديدة فتمر منه جميع المواكب فى روحاتها وغدواتها المتكررة .

رأيت القوم — كمهدى بهم سابقاً — يملأون الجو ضجيجاً والميدان حركة ؛ ويتسابقون فى الضحك والإضحاك بأقنعتهم الغريبة ، وأزيائهم العجيبة ، ورقصاتهم السريعة ، وأغانيهم الخفيفة ، وأجواقهم المهرجة . وكان وصول كل موكب من المواكب إلى الميدان يستثير عاصفة من القهقهة والهتاف والصياح .. تندفع من حناجر آلاف المتفرجين المجتمعين هناك .

وقفت مدة فى زاوية من زوايا الميدان التى تطل على شوارع عديدة ، فتمكنت من مشاهدة المواكب الكثيرة ؛ وأخذت أتتبع حركات القوم بكل اهتمام .

واتفق أن وصل مرة أربعة مواكب غريبة دفعة واحدة من شوارع مختلفة ؛ فزاد نشاط الجميع زيادة هائلة . وصارت الجماعات التى تؤلف المواكب تندفع فى العزف والرقص والتهريج اندفاعاً جنونياً ؛ وأخذت جماهير المتفرجين تغرب فى القهقهة إغراباً عجيباً ، كأنهم أصيبوا بنوبات عصبية تهز جميع أبدانهم هزاً عنيفاً .

* * *

وفى الوقت الذى كان هذا الهرج والمرج قد بلغا الحد الأقصى ، وأخذت حواسى تعجز عن تتبع هذه الحركات العجيبة ، وعن تمييز هذه الأصوات الخليطة ، توقفت كل الحركات بغتة ، وانقطعت كل الأصوات فجأة .. وظننت — فى بادىء الأمر — أنه حدث حادث مروع جمد الفرح فى النفوس ، فأدى إلى هذا الوجوم العميق .

فأخذت أجيل بصرى فى كل الجهات ، لاستجلاء أسباب هذا التحول الفجائى إلى أن شاهدت فى آخر الميدان فى محل بعيد جداً ، علماً ينزل بالتدريج من فوق سارية كبيرة ؛ ولاحظت فى الوقت نفسه صوت بوق — لم أنتبه إليه قبلا — وفهمت عندئذ كل شىء .

كان ذلك وقت الغروب ، وقد حان موعد إنزال العلم من سارية الثكنة العسكرية التى تقع فى آخر الميدان ، والبوق كان يدوى إيذاناً بذلك ، والناس قد توقفوا عن السير والحركة احتراماً لذلك العلم !.

وكان صوت هذا البوق قد قضى على كل الحركات والأصوات التى تصدر من تلك الألوف المؤلفة من الجماهير ، حتى فى وسط مهرجانات الكرنفال ، وفى أصخب صفحات التهريج ؛ مع أن معظم أفراد المواكب كانوا قد أصبحوا شبه سكارى من شدة الفرح الذى استولى على جوانحهم من جهة ، ومن كثرة الكئوس التى ارتشفوها فى مختلف الحانات من جهة أخرى .

إن صوت البوق الذى يرافق إنزال العلم كان قد حمل الجميع على التوقف بغتة ، كأنهم كلهم جنود فى ثكنة عسكرية يأتمرون بأوامر قائد يحترمونه كل الاحترام .

أكبرت عندئذ كل الإكبار قوة « التربية الدنية والوطنية » المتأصلة فى نفوس هذا الشعب . هذه التربية التى تحمل الناس على عدم التقصير فى أداء واجب « الاحترام للعلم » حتى بين ضجيج مواكب التهريج !.

* * *

تذكرت هذه الواقعة — بعد ذلك — عدة مرات ، فى عدة مناسبات .. وكانت الأخيرة منها ، قبل بضعة أيام :

كنت أسير مساء إلى « دار الرسالة » لزيارة صديقى الأستاذ أحمد حسن الزيات ؛ وكنت قد وصلت إلى رأس ميدان عابدين عندما سمعت صوت بوق يدوى بنبرات متقطعة متساوقة .

فالتفت حالاً إلى الثكنات فرأيت العلم المصرى الذى يرفرف فوق سارية البناية المرتفعة أخذ ينزل بخطوات بطيئة ، بصورة متساوقة مع نفخات البوق المتقطعة .. فوقفت هناك متوجهاً نحو الثكنات ، لأمتع البصر بتتبع سير العلم باهتمام .

ولكنى لاحظت بغتة أننى كنت الوحيد فى هذا الموقف وهذا الاهتمام ... وأما الذين كانوا يمرون مثلى فى هذا الميدان ، فكانوا يواصلون سيرهم وكلامهم وعملهم .. كأنه لم يكن هناك شىء يستحق الالتفات : هنا جماعة من الأطفال يلعبون ، وهناك طائفة من النساء يتصايحن ؛ وفى كل الجهات عربات تمر ببطء ، وسيارات تسير بسرعة ؛ وعدد كبير من الناس يسيرون فى اتجاهات مختلفة ، ولا أحد منهم يلتفت إلى الثكنات ، أو يرفع البصر إلى سارية العلم القائمة فوقها .. كأن كل ذلك لا يهمه أبداً ولا يخص أحداً غير الجيش وحده ..

وتذكرت عندئذ — بكل تفاصيله — ما كنت شاهدته

فى كورفو ، أيام الكرنفال . . وتأملت — فى ألم مرير — البون الشاسع بين ما حدث هنا وما حدث هناك .

بعد أن غاب العلم المصرى عن عينى وانقطع صوت البوق عن أذنى . . واصلت السير ، وأنا أقول فى نفسى :

إن الوقوف لتحية العلم — بالصورة التى شرحتها آنفاً — قد يبدو للمرء — فى الوهلة الأولى — كمظهر من المظاهر المادية التى لا تستحق الاهتمام . غير أن هذا الوقوف — فى حقيقة الأمر — من الأعمال التى تتصل بتربية النفس اتصالاً وثيقاً ؛ فإن هذه الوقفة التى تضطر الإنسان إلى الخروج عن عالمه الخاص ، ولو لمدة قصيرة .. وتحمله على الانقطاع عن السير وراء مصالحه الشخصية ، ولو لثوان معدودة . وتجبره على الاهتمام بالعلم الذى يمثل وطنه وتاريخه ودولته ولو لفترة وجيزة . .

إن هذه الوقفة المادية ، لمثل هذه الأغراض المعنوية ، لا بد من أن تؤثر فى النفس تأثيراً عميقاً ، ولابد من أن تساعد على إيقاظ الشعور القومى وإشاعته مساعدة كبيرة .

أبوخلدون ساطع الحصرى

ما أحبها من نقـــلة !

للأستاذ محمـــود الخفيف

أحبب إلى نفسى بهذه النقلة إلى تاريخ أمريكا فى سيرة زعيمها العظيم « أبراهام لنكولن » ، فإنه لمن أعظم ما يسر القراء لاريب حديث صاحب العبقريات عن أشبه العبقريين فى الغرب بابن الخطاب وما أولى لنكولن بنصيب مما يكتب العقاد ؛ ولو تفضل كاتبنا الكبير فعقد فصلا أو أكثر من فصل ، فوازن بين لنكولن وعمر ، وهو خير من يفعل ذلك ، لعددت هذا من أفضل مابلغت بكتابى من خير ...

وبعد ، فأرجو من أستاذنا الجليل أن يصدقنى أن عنايتى بتاريخ لنكولن هى التى حفزتنى إلى كتابة هذا الفصل والذى سبقه ، إذ لا زلت من بعض الملاحظات التى أبداها الكاتب الكبير غير مطمئن النفس ، وما كان ذلك دفاعاً عن كتابى بقدر ما هو رغبة منى فى الاهتداء إلى الصواب .

لا زال تاريخ أسلاف لنكولن سراً فى أطواء الزمن ، وأكبرالظن أنه سوف يبقى كذلك ، وماذا عسى تحتويه الكتب عن أبيه النجار ، وعن جده لأبيه ، وقد كان كذلك نجاراً بين أحراج الغابة قتلته رصاصة أطلقها عليه أحد الجنود الحمر ؟ وماذا عسى أن يعرف عن أمه وهى ابنة سفيحة لرجل مجهول من أهل الجنوب ؟ ولولا أن تحدث بذلك لنكولن إلى صاحبه هرندن ما عرف حتى هذا القدر من سيرتها ...

بذلك رددت على ما أخذه على الأستاذ الكبير من خلو كتابى من تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ؛ وكان ما ذكره الأستاذ تعقيباً على ذلك الرد قوله : « وقد اعتقد الأستاذ الخفيف أن البيان الكافى عن أسلاف لنكولن غير ميسور ، لأن الرجل كان كما هو معلوم عصامياً خامل الآباء والأجداد ؛ ولكن الواقع أن اللغز يعرض لنا من أمر آبائه المعروفين ونستطيع حله من تاريخهم » .

إذاً فلا سبيل لنا إلى أسلافه ، ويبقى بعد ذلك آباؤه المعروفون وما نعرف إلا أباه وأمه . ولقد ماتت أمه وهو فى العاشرة من عمره فحرم من تأثيرها فى نفسه ، ذلك التأثير الذى أشرت إليه فى كتابى بقولى : « كان الغلام ينتقل ببصره وخياله من أمه إلى أبيه ، وكانت أمه فى أقاصيصها جادة ، تحس لفسه الصغيرة شيئاً من الحزن يطوف بنفسها ويتسرب إلى حكاياتها ؛ أما الأب فكان يميل إلى المرح والفكاهة ، ويتدفق إذ يحكى تدفق من لا تنطوى نفسه على شىء مما تنطوى عليه نفس الأم ، وما كان شىء من ذلك ليخفى على فطنة الغلام ، وأحدثت القصص الدينية أثرها فى نفس الصبى وظلت عالقة بلبه وخياله ، وجرت فى كيانه مجرى الدم فى عروقه ، واختزنت حافظته ألفاظها بنصها حتى ليتحرك بها لسانه وإن لم يقصد » .

ولم يكن لأبيه من أثر فى نفسه ولا من صفات نستطيع أن نردها إلى آبائه فنعرف ، ولو بما يقرب من اليقين شيئاً عن أسلافه فنحل اللغز بعض الحل ؛ أما ذلك الذى كانت تنطوى عليه نفس الأم ، فرده فى الأكثر إلى أنها كانت تجهل أباها ؛ على أنى لم أسه عما قد يكون للوراثة من أثر فى حياة لنكولن ، فأوردت

في صفحة ١٥١ من كتابي ما قصه على صديقه هرندن إذ قلت :

« وإنه ليفضي إلى صاحبه هرندن ذات يوم بحديث عن أقاربه وصلته بهم ، ويتطرق الكلام أثناء هذا الحديث إلى منشأه فيكشف لنكولن لصاحبه عن سر يتصل بأمه ، وذلك أنه لا يعرف أجداده لأمه ، فقد كانت أمه التي أحبها والتي يجل ذكراها ابنة رجل مجهول ، وسيظل هذا الرجل مجهولا أبداً ، وكل ما يستطيع أن يعرفه عنه أنه من أهل الجنوب ، وبيان ذلك أن جدته لأمه كانت تعيش وهي فتاة في ولاية فرجينيا في الجنوب فأصبحت ذات حمل وإن لم تتزوج ، ووجدت نفسها بعد أشهر الحمل تضع أنثى ، وكانت هي وحدها التي تعرف والد هذه الأنثى، ولقيت من أهلها أشد الغضب لزلتها ، ولكنهم احتضنوا بنتها فنشأت بينهم تنتسب إليهم وليست منهم . ذلك هو السر الذي يفضي به لنكولن إلى صاحبه على ما فيه مما يوجب الكتمان ، ويردف أبراهام قائلا لصاحبه إنه كان ثمة من ميزة فيه لا يوجد مثلها في أحد من ذوي قرباه ، فردها لاريب إلى أجداده المجهولين من أهل الجنوب » .

***

أما عن أثر المصادفة في حياة لنكولن ، فإني أخشى أن يكون الذي يخرج به القارئ مما كتبه الأستاذ الكبير في هذا الصدد أن لنكولن مدين للمصادفة بكل شيء ، فقد قال الأستاذ في مقاله الأول : « وقد كان من الجائز جداً ألا يصل إلى رئاسة الجمهورية لأنه لم ينجح قط في انتخاب أو ترشيح إلا كان للمصادفة في اللحظة الأخيرة أكبر الأثر في هذا النجاح » ؛ وقال في مقاله الثاني : « ولم يكن نصيب المصادفات التي كان لها أكبر الأثر في الترجيح بين الأحزاب نفسها وبين جيوش الشمال وجيوش الجنوب أوفى نصيباً من هذه المصادفات التي صعدت بلنكولن إلى رئاسة الجمهورية » .

وأرجو ألا أثقل على أستاذنا العلامة حين أقول له إني لا زلت أخاصمه في هذا ، وإني لا زلت أرد كل ما أصاب لنكولن من فوز إلى شخصيته ، فما أعرف في العصاميين رجلا مثله اتكأ على نفسه في جميع أطوار حياته ، وما أعرف مثله من كانت الظروف كلها من عدوه . وكيف لعمري تصمد المصادفات بنجار ابن نجار إلى رياسة الجمهورية ، وكان في هذه الجمهورية آلاف النجارين غيره ؟ ذلك ما لا أستطيع أن أحمل خيالي على تصوره ، إن هذا الرجل الذي بات يحزم متاعه بيده آخر ليلة قبل سفره إلى العاصمة ليجلس فوق كرسي وشنطون قد بنى نفسه بنفسه . وإنا لنرى اعتماده على نفسه واضحاً في كل أطوار سيرته حتى في هذا العمل الذي يبدو هيناً في ذاته وهو عظيم في معناه ، فقد سهر الرئيس ابراهام لنكولن يملأ حقائبه بيده ويحزم متاعه دون معونة من أهله أو من صحبه ، فما اعتاد الرجل العظيم معونة من أحد !

إني أفهم أن تأتي المصادفة لخامل أو لدعي بشيء من اليسار أو الفوز مرة أو أكثر من مرة ، كما أفهم أن تحول المصادفة بين ذي جدارة وبين ما يريد مرة أو أكثر من مرة ؛ ولكني لا أستطيع أن أرد ما يبلغه العظيم الحق من مكانة أو ما يصيبه من فوز إلى المصادفة ، وإلا فما معنى عظمته ، وما معنى العظمة الفردية على الإطلاق ؟ إن هذا يقتضينا أن ننكر عنصر الاستعداد الفردي ، أو ما نسميه العظمة الشخصية ، ونجعل تاريخ البشرية سلسلة أو سلاسل من المصادفات لا ندري كيف تجري مجراها .

ألا إن الرجل العظيم نفسه لهو المصادفة ، فما هو إلا أن يتطلب عصره وجوده ويتهيأ لاستقباله حتى يستعلن السر وتشمل العصر كله ، وتسيطر عليه روح الرجل العظيم ، وهذا وحده الذي يفسر بروزه وسيطرته على غيره من الناس .

وما كان لنكولن بدعاً من العظماء ، فمنذ اشتغاله بالسياسة اقترن اسمه بالمشكلة الكبرى التي شغلت بلاده ، ألا وهي مشكلة الرق ، ثم ما زالت آراؤه في هذه المشكلة تتضح وتتسع دائرتها حتى اشتهر أمره . وإن له لقدرة في الخطابة تسلكه في أفذاذ هذا الفن من الموهوبين ؛ واغتدى لنكولن أحد رجال الحزب الجمهوري المعدودين ، وكانت الغلبة لهذا الحزب لأسباب كثيرة أهمها حسن سياسته في مشكلة الرق ، ولقد اشتغل بالسياسة واهتم بمشكلة الرق غير لنكولن من كبار الجمهوريين ، ومع ذلك أخذ صيته ، وهو المحامي الفقير الذي لا جاه له يعظم يوماً بعد يوم حتى أغرقهم جميعاً ؛ وما للمصادفة من أثر قط في هذا ، وبهذا وحده اتجهت القلوب إلى لنكولن وبخاصة بعد ما كان من جدال طويل على أعين الناس بينه وبين دوجلاس أحد قادة الديمقراطيين ، وإن اتجاه القلوب إليه لهو « الترشيح » الذي تحسه الأنفس قبل وقوعه رسمياً ...

فإذا كان هذا جميعاً من المصادفات ، فيجب إذاً أن نتفق على معنى المصادفة ، وإلا عددنا حوادث التاريخ جميعاً مصادفات ،

وجعلنا أعمال بونابرت مثلا أو سعد زغلول أو غيرهما من المصادفات، وما هي إلا تلك القوة التي يمتاز بها الرجل العظيم، أو تلك « الروح » التي لا تدرك ولا تنكر.

وهل نعد قضية الرق في ذاتها مصادفة، واشتغال لنكولن بها مصادفة؟ وما قيمة هذه المصادفة إن عددناها مصادفة؟ واللهم هنا هو كيف علا صوت لنكولن فيها على جميع الأصوات؟ وكيف نفذ إلى القلوب دون غيره؟ وهل نعد مواهبه وفي مقدمتها الخطابة كذلك من المصادفات؟ وإذاً فماذا يبقى من « الرجل »؟

ولقد فشل لنكولن في السياسة أكثر من مرة، فأين كانت المصادفة؟ هل نعد فشله كذلك مصادفة كما نعد نجاحه لو أنه نجح؟ ولقد فاز دوجلاس بمقعد الشيوخ دونه بعد صراعهما الطويل، وعاد هو إلى عمله في المحاماة!؟

ودعى لنكولن بعد هذا الفشل إلى نيويورك نخطب الناس هناك فسحرهم بيانه بعد أن سخروا من منظره ومن هندامه ومن شعره الأشعث الذي يعلو رأسه الكبير كأنه ألفاف الغابة. وقد قال الصحفي النابه جريلي وهو من خصومه: « ما من رجل استطاع أن يبلغ بخطابه لأول مرة ما بلغه لنكولن من عظيم الأثر في جمهور السامعين في نيويورك ».

ونشرت كبريات الصحف خطابه وبدأ اسمه يظهر بين أسماء المرشحين لرياسة الجمهورية. ولما عقد الجمهوريون مؤتمرهم العام في شيكاغو في شهر مايو لاختيار أحد رجالهم ليرشحوه للرئاسة، كان سيوارد واثقاً من نفسه قليل الاكتراث بلنكولن، وقدم زعماء المؤتمرين خمسة أسماء غيرهما وجرى الاقتراع على دفعات، وأعلنت نتيجة الدفعة الأولى من الولايات، فإذا سيوارد يزيد على لنكولن بسبعين صوتاً وصوت، ثم أعلنت نتيجة الدفعة الثانية فإذا لنكولن لم يبق بينه وبين منافسه القوى إلا ثلاثة أصوات، ثم تعلن نتيجة الدفعة الأخيرة، فإذا إبراهام يظفر على صاحبه ببضعة أصوات فحسب. وإذاً فالأمر هنا أمر اختيار وتمحيص وليس للمصادفة دخل فيه. وما يقال عن عدم إعداد الأوراق اللازمة للاقتراع ونشاط جريلي وتحويله معظم المندوبين عن رأيهم فهو من قبيل ما يروى عن المعارك الانتخابية مما يشبه القصص بقصد التسلية والتشويق أو بدافع المبالغة، إذ لا شك أنه مما ينبغي أن يؤخذ في كثير من التحفظ أن تتحول آراء المندوبين في فترة قصيرة في أمر عظيم كاختيار رجل للرياسة في غير سبب من شأنه أن يفضي إلى هذا التحول الخطير. ولقد كان جريلي من أشد خصوم لنكولن طيلة حياته، وظل على لدده حتى بعد أن ظفر لنكولن بالرئاسة. ولم تكن خصومته لسيوارد الامفضية إلى نجاح منافسه، وهذا مما يجعلنا نرتاب فيما نسب إليه يوم ذاك المؤتمر العام. هذا إلى أنه لو فرض وقوعه كما ذكرنا فإنه أقل من أن يحول آراء المندوبين بالقدر الذي يؤدي إلى نجاح لنكولن

لقد مكن لنكولن لنفسه قبل ترشيحه، وسبق هذا الترشيح نشاط وتنافس عظيم في القول والكتابة بين أنصار سيوارد وأنصار لنكولن، وجاء انتصار لنكولن بعد ذلك متفقاً مع مكانته التي ظل عاملا عليها، لا طمعاً في الرئاسة، ولكن استجابة لما كانت تهجس به نفسه.

ومع ذلك كله، فقد كان من الجائز ألا يظفر لنكولن بالنصر في معركة الرياسة وإن رشحه الجمهوريون، ولكنه ظفر ونال مائة وثمانين صوتاً من أصوات مندوبي الولايات الذين ينتخبون الرئيس وفق الدستور، وكان عددهم ثلاثمائة رجل وثلاثة، وهذا العدد قلما ناله رئيس من قبله.

لقد شق لنكولن طريقه إلى الرياسة في مشقة، وتحمل من عنت الأيام ومن قسوة الظروف ما يزيد في معنى عصاميته، وما يجعل من الصعب بل من المستحيل على المرء أن يتصور أن المصادفات هي التي صعدت به إلى رياسة الجمهورية، ولقد ظل يشتغل بالسياسة أكثر من عشرين عاماً حتى نبه اسمه وذهب صيته في طول أمريكا وعرضها، وهو الذي خرج من بين أحراج غابة من غاباتها فقيراً معدماً علم نفسه بنفسه، ولم يتكىء منذ كان طفلا إلا على نفسه ...

وبعد، فإني أعود فأشكر للأستاذ الجليل ما أبداه من ملاحظات على كتابي كانت سبباً في هذه النقلة المستحبة في تاريخ البلاد الأمريكية، ولعلنا نظفر منه بأمثالها، وإني لسعيد إذا صدقني كاتبنا الكبير أني لم أرد بالرد على ملاحظاته القيمة دفاعاً عن كتابي، وإنما الصواب طلبت؛ وما أبرئ نفسي من الخطأ، ولست أرى أن كتاباً يوضع في تاريخ لنكولن وتاريخ الولايات المتحدة في عصره يصدق القائل فيه إذا قال إنه يخلو من ملاحظات جلت أو هانت تلك الملاحظات.

صوم غاندى السياسى

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكى

الصوم تعليم دينى فرضته جميع الشرائع السماوية ، وسنته مختلف الأديان الأخرى . وجعلت من أدائه طاعة لله وتقرباً منه ، ومن مخالفته خروجاً على أوامره . ويعتبر الدين الهندوكى من بين تلك الأديان التى تشرع الصوم فى أوقات محدودة ، وتلزم الهندوكيين بقضائها تزلفا لله . ولكن الشعب الهندوكى العريق فى الروحية لم يكتف بصيام الأيام التى يفرضها الدين ، ويقدم طواعية قربان صومه لله كلما نزلت به محنة ، أو أشقته مصيبة ، أو كلما ارتكب آثاماً يود التكفير عنها . وكانت أم غاندى من أولاء الهندوكيات الورعات المتقشفات التى لا تهمل صيامها الدينى ، فضلا عن أنها كانت تنذر فى مناسبات مختلفة أن لا تأكل إلا إذا رأت الشمس . ويحدث أن تمضى الأيام تباعاً دون أن تأكل شيئاً لأنها لم تستطع رؤية الشمس خلف سحب الهند الكثيفة . فتعوّد غاندى منذ صغره أن يرى أمه تصوم صوماً طويلا شاقاً ، ترك فى مخيلته أثراً مطبوعاً ظهر مفعوله فى حياته العامة .

فابتدأت نزعة غاندى الروحية تتربى فى أحضان تلك الأم التقية الصالحة التى تتمسك بفروض دينها . ثم أخذت تنمو حينما تلقن أول مبادئ الديانة الهندوكية ، ولمس من مواطنيه تعلقهم بها ، ووجدهم شعباً يؤمن بدين يحرم أكل اللحوم ، وينبذ لذيذ الطعام ، ويعيش على النبات ، ويشتهر بالزهد والتقشف . فشب غاندى نباتياً لا تثيره شهوة الأكل ، ولا يغريه فاخر المأكولات ، ويحترم تقاليد دينه . فغرست حياته الأولى مع أمه ، ثم نشأته فى ربوع شعب دينى ، المبادئ الروحية فى نفسه . وأصبح فكره ينزع دائماً إلى الناحية الدينية والروحية ، ويغلب الحقائق الدينية على أى حقيقة تخالفها . وظهر كل ذلك واضحاً حينما خاض معترك الحياة الاجتماعية ، فكان يحاول أن يحل كل ما يقابله من مشاكل بالطرق الدينية . وكان الصوم أول هذه الطرق

كان غاندى فى أول الأمر يصوم صيامه الدينى ، أو يزيد عليه أياما معدودة ، كلما طرأت مناسبة شخصية تدفعه لذلك . ولكن حينما أخذ نفوذه يقوى فى جنوب أفريقية ، وأصبح له أتباع مسئول عن سلوكهم وتصرفاتهم ؛ حتى إذا ما صدر عنهم أى فعل يخالف تعاليم الدين ، أو يتعارض مع أصول الأخلاق ، أو يغاير ما ينادى به من مبادئ سياسية ، حق عليه أن يحزن لحدوثه ويتألم ، ويشعر أنه مسئول عما أتوه من آثام ، وينذر صوم عدة أيام أو بضعة أسابيع ليكشف عذاب الصوم ما يحسه من وخز الضمير وكآبة الروح ، أو يخفف ضغط الشعور الأليم بالمسئولية من ناحية ، وليكفر عن آثام أتباعه من ناحية أخرى . فكان صومه يؤثر فى نفوس أتباعه فيتألمون لألمه ، إلا أنهم فى الوقت ذاته كانوا يجلون مقاساته آلام صوم متواصل من أجلهم بدون أن يقترف ذنباً يستحق أن يطلب عنه الغفران . ولذلك حرصوا على ألا يقترفوا من المخالفات والأوزار ما يؤلم غاندى ، فيضطر إلى أن يلجأ إلى صوم يسبب له مايكرهون من العناء والتعب

فلما وجد غاندى ما لصومه من أثر عميق فى نفوس الهنود ، أدرك بفطرته النفاذة ، وفهمه السليم لروح شعبه أنه يمكن أن يتخذ من الصوم ذريعة روحية مفيدة ، يخدم بها أغراضه الإصلاحية من تقويم أخلاق قومه ، وإصلاح حياتهم المادية والاجتماعية ، وترقية مستواهم السياسى ؛ كما أدرك أن قوة مفعول الصوم فى نفوس الهنود سببه أنهم قوم لا يرهبون إلا قوة الروح ، ولا يخضعون إلا لسلطان الدين ، فتعمد مخاطبتهم باللغة التى يجيدون معرفتها ويصدعون إليها . فاستعان بالصوم لخدمة مصالحهم ، لأنه يعبر عن قوة دينية ، وعن مظهر من مظاهر القدرة على تحمل الآلام ومقاساة الجوع ، فضلا عن أنه وسيلة من وسائل تطهير الروح . فسهل عليه السيطرة به على قومه ، ونجح فى استخدامه إلى أبعد حد بحيث أصبح الصوم أمضى سلاح سياسى يعتمد عليه غاندى بصفته الشخصية للقضاء على الاضطرابات والقلاقل التى كثيراً ما تحدث فى الهند ، ولتهدئة ثورات النفوس الهائجة حتى يشملها الحب والوئام ، أو لتفادى ما تتعرض له من أزمات سياسية ، وما يهددها من كوارث اجتماعية . ويرجع توفيق غاندى فى استخدام هذا السلاح الدينى فى السياسة إلى أسباب أهمها :

فهم غاندى العميق لمزاج شعبه الروحى ، ومعاملته بالأسلوب الوحيد الذى يصدع له دائماً .

ثم دقة حساسية غاندى وصدقها فى تلمس خطايا الشعب الحقيقية ، وقدرته الروحية ونفاذ بصيرته التى تخترق شغاف قلوب الجماهير ، وتشعرهم بأن خطاياهم قد مست أعماق نفسه ، فسببت له آلاماً مؤذية من الحزن والألم ، فرضى أن يحتمل عناء الصيام ليعفو الله عنهم . وذلك يوجد الفزع فى قلوب الشعب الذى يخاف على حياة الزعيم الذى يحبونه كل الحب فيضطرون للاستماع لنصائحه والأخذ بآرائه السياسية والاجتماعية ، حتى لا يعود إلى صوم قد يكلف غاندى حياته ، وتفقد الهند بطلها المقدس .

ولقد صام غاندى حوالى خمسة عشر صوماً خلال الخمس والثلاثين سنة الأخيرة من عمره أذكر منها على سبيل المثال ثلاث مناسبات صام فيها غاندى ، لأوضح بعض الظروف المختلفة التى كان يصوم من أجلها غاندى . ولنبدأ بصوم سببه أخلاق تذره عند ما كان فى جنوب أفريقية يشرف على التعليم فى المدرسة التى أنشأها بمزرعة العنقاء ، وتسمح باختلاط الصبيان والبنات بالرغم من تباين نشأتهم واختلاف أوساطهم . فحدث أن اعتدى أحد التلاميذ على عفاف فتاة ، فلما سمع غاندى بهذا النبأ الأثيم تألم وشعر أنه كمشرف على هذه المدرسة مسئول عما ارتكب ، فعاقب نفسه بصوم تسعة أيام ليخفف بها وطأة وخز الضمير وتأنيبه من جهة ، وليطلب المغفرة من الله لهذين الآثمين من جهة أخرى . فكان لصيامه وقع أليم فى أهل المزرعة طهر ما علق بالنفوس من أفكار سوداء ، كما حرر نفس غاندى من كل ما انتابها من قلق واضطراب ، وأحل محل غضبه على المجرمين إحساساً بالعطف والشفقة عليهما ، فتوثقت العلاقة بينه وبين الأولاد والبنات .

أما عن الصوم الثانى فصامه غاندى بعد أن نزح عن جنوب أفريقية ورجع إلى الهند بصيته المعروف بمحاربة الاستعمار البريطانى ؛ فاستطاع بعد أن درس حال الهند من جميع النواحى أن يتولى زعامة الشعب الهندى . ثم أخذ يطالب باستقلال الهند الذاتى الذى وعدت انجلترا أن تمنحه للهند بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، نظير ما قدمته لها من مساعدات حربية . فلم تكتف الحكومة الإنجليزية بمراوغته ، بل أخذت تشدد الرقابة على الهنود ، كما فرضت عليهم أحكاماً عسكرية صارمة . فعزم غاندى على أن يحاربها حرباً سلمية ، أى يحاربها بسلاح العصيان المدنى الذى حاربها به من قبل فى جنوب أفريقية ، واستطاع أن يلغى ضريبة الثلاثة جنيهات المفروضة على الهنود هناك . إلا أنه شعر بصعوبة قيام شعب يقرب من أربعمائة مليون نسمة ، يختلف فيما بينه من حيث الدين والعادات واللغة ، بعصيان إجماعى قبل أن تتشبع روح كل فرد بأساليب العصيان المدنى السلمى . وهذا يتطلب تنظيماً دقيقاً لحركة العصيان ، حتى تبتعد عن العنف والشغب والفوضى وحوادث السرقة والتحطيم والحرق . فأخذ غاندى يمرن الشعب بادىء الأمر على العصيان ، بأن طالبهم بمقاطعة كل ما هو إنجليزى . فقاطع الشعب التوظف فى المحاكم الحكومية الظالمة ، والتعلم فى المدارس والجامعات الإنجليزية التى تفسد عقلية الهنود ، وشراء السلع البريطانية . كما طالبهم بمخالفة كل قانون جائر يضر بمصالحهم . وبعد أن تغلغلت مبادىء المقاومة السلبية فى النفوس ، وبعد أن بلغت حماسة الهنود من القوة بحيث لا يستطاع إغفالها ، أعلن غاندى العصيان المدنى العام فى جميع أنحاء البلاد ، وكان يظن أنه لن يحدث شيئاً يعكر صفو سلمية هذا العصيان ، ولكن حدث أشد ما يبغضه إذ اصطدم الأهالى برجال الشرطة ، فهاج الشعب ، وأطلق الرصاص ، وأشعلت النيران ، وأريقت الدماء ، فانتشرت الفوضى ، وكثرت حوادث النهب والإتلاف . فأرغم غاندى على أن يوقف هذا العصيان ويعلنه ثلاث مرات متتالية ، وعلى أن يصوم أربعاً وعشرين ساعة من كل أسبوع تكفيراً عن الدم الذى أريق ، وقصاصاً لنفسه على فظائع بنى قومه ، حتى يشعرهم بهمجية عنفهم، ويلزمهم حد اللاعنف الذى يجب عن طريقه أن تنال الهند استقلالها .

وكان الصوم الثالث سببه ما بين الهندوكيين والمنبوذين من نزاع ؛ لأن مشكلة المنبوذين من أولى المشاكل الاجتماعية الهندية التى وجه لها غاندى كثيراً من عنايته . وذلك لما وجد الهندوكيين يحتقرون المنبوذين أشد الاحتقار ، ويعتبرونهم أنجاساً ، ويحرمون معاشرتهم أو الاتصال بهم . فحاول غاندى أن يمحو الفوارق الاجتماعية بين جميع الطوائف الهندية ، ويعطى المنبوذين من الحقوق السياسية مثلما لأى هندى آخر . فكان يظهر فى كل

الأزهر والإصلاح

للأستاذ محمود الشرقاوي

سيقول كثير من إخواننا الأزهريين حين يقرأون هذا الذى أكتب عن الأزهر والإصلاح : لماذا وله ؟.

سيقول كثير من هؤلاء لماذا كتب هذا ومن يريد بكذا وماذا يقصد بكذا ؟ لأنهم لا بد — فى اعتقادهم — أن يكون لكل شيء ظاهر وباطن ، ولا بد أن يكون وراء كل عمل أو قول أمر مستور يُسأل عنه بماذا وله .

فهم يقولون فى علومهم ودروسهم لماذا وله وماذا يراد بكذا وهذه محمدة ، وهم يقولون عند ما يرَون لأحد رأياً أو سعياً لماذا وله وماذا يراد بكذا ، وهذه مذمة .

وأعلم أن كثيرين منهم سيقولون لماذا أو له ، وهم يعلمون أن هذا الذى أكتب اليوم قد بدأته قبل أن أبدأ سن العشرين . وإنى كتبته فى السياسة والسياسة الأسبوعية منذ عشرين من السنين ، وأن الأزهر وإصلاحه كانا شغلى وشاغلى منذ أجريت قلمى على قرطاس ، وإنى دأبت عليه وكان وكدى فى « الرسالة » أول ما ظهرت الرسالة إلى هذا الوقت القريب وفى « البلاغ » ثمانى سنين دأباً .

هؤلاء الكثيرون يعلمون ذلك وقد يعلمون غيره ، ولكنهم سيقولون لماذا كتب هذا وماذا يريد وماذا يقصد ؟

ولكن هذا التساؤل وهذا التأويل وهذه الظنون حسنة أو سيئة ، طيبة أم خبيثة ، لن تحول بينى وبين أن أكتب ما أريد ، ولن تمنعنى أن أقول ما تجيش به نفسى عن الأزهر وإصلاحه .

والذى أريد أن أقوله إن الأزهر لم يصلح ، وأن بينه وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً ، ولست أدرى هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟

وأنا حين أزعم أن الأزهر لم يصلح لا أريد أن أتوجه بهذه التهمة إلى أحد ولا إلى عهد ، فالواقع أن الأزهر قد التوت به وبأهله سبيل الإصلاح وبعدت بهم عن أهدافه ومراميه ؛ والواقع الذى هو

مكان يؤاكل المنبوذين أو يعانقهم ، حتى يشجع غيره من الهندوكيين على أن يتشبهوا به ويحسنوا معاملتهم . إلا أنه لم يقدر أن يقضى نهائياً على اضطهادهم للمنبوذين . ولكن حين قبلت الهند سنة ١٩٣٥ المشروع الإنجليزى الذى ينص على خضوع البلاد لحكم نيابى مؤلف من مجلسين أحدهما تشريعى والآخر للمقاطعات، تكون الحكومة مسئولة أمامهما ، ثم بدىء فى توزيع المناطق الانتخابية لتأليف هذين المجلسين النيابيين ، طالب المنبوذون بمناطق انتخابية منفصلة . فأيدهم الإنجليز فى هذا الطلب ؛ إلا أن غاندى رفضه مصرحاً بأن إعطاءهم مثل هذه المناطق يعقد مشكلة المنبوذين ويجعل حلها عسيراً ، ويقضى ببقائهم على ما هم عليه من ذل وهوان ، وهذا فضلا عن أنه يزيد الشقاق بين الطوائف الهندية ، ويقوى الخلافات الدينية التى تشكو منها الهند ، وأعلن الصوم حتى الممات . وما كاد يمضى سبعة أيام على صيامه حتى انتهى الخلاف بتسوية تسلم بانتخاب المنبوذين فى مناطق الهندوكيين ، على أن يكون لهم عدد معين من المقاعد فى المجالس الإقليمية التشريعية .

وإذا حاولنا أن نتكلم عن كل صيام صامه غاندى ، استعرضنا مختلف مشاكل الهند الحديثة سواء أكانت اجتماعية أو سياسية أوطائفية أو دينية ، لأن غاندى لم يترك مشكلة لم يتعرض لحلها ، فإذا ما أحسَّ أن هناك مشكلة ستحل بطريقة تتعارض مع مصلحة الهند والهنود فإنه يتفادى مقدما نتائجها الوخيمة ، ويعلن الصوم حتى تحل هذه المشكلة حلا يقع نفعه على الهند ، أو إذا ما تصادم المسلمون والهندوكيون أو اندلعت نيران الثورة الطائفية ، وهاجت النفوس ، أكثر واشتدت المجازر فإن صيامه يبعث الذعر فى قلوب ملايين الهنود مما يبعثه وابل من القنابل ، فيضع حداً للمذابح ، ويسكن النفوس الهائجة ، ويستحيل بفضله الحقد إلى حب . وذلك كله يؤكد زعمنا بأن غاندى أخرج التعاليم الدينية من عالم المعابد إلى عالم الحياة الواقعة ، وأعطى الصوم الدينى حقيقة عملية ، وجعل له وظيفة نافعة فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، واتخذ منه سلاحاً يقوم به أخلاق الناس ، ويهدِّئ من هياجهم ، ويمحو الحقد والبغضاء من قلوبهم .

عبد العزيز محمد الزكي

مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

أعجب من هذا كله أن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر حديث لا يصغى إليه أحد ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد. وليس هـذا شيئاً جديداً بل هو شيء يمتد إلى سنين مضت غير قليلة، وقد جرى بينى وبين المرحوم الشيخ المراغى حديث فى هـذا منذ سنين لعلى راجع إليه فى «الرسالة» فى يوم قريب أو بعيد، ويوم أعود إلى هذا الحديث سيعلم من لم يكن يعلم أن إصلاح الأزهر لم يشتغل به أحد ولم يفكر فيه أحد. اللهم إلا المتفائلين والمتالين (١) والخياليين الذين يعيشـون بين الأمانى والأحلام، وقد عشـنا بها زمناً رغداً، ثم ذهبت عن أعيننا الغشاوة.

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى
وإلا فقد عشـنا بها زمناً رغدا

كان المصلحون يرغبون أن يكون الأزهر قواماً على نهضة دينية أساسها الفهم والإدراك وسعة الأفق حتى يقاوم بهـا ما ينتاش العالم كله من إباحية وإلحاد وتهجم على فكرة الدين وعلى مجرد الإيمان، وكانوا يرغبون أن توجد فى الأزهر هذه البيئة الدينية المؤمنة المدركة لما يقع فيه العالم كله اليوم من أزمة روحية يحسها كل رجل مستنير ويدرك خطرها على القيم الروحية وعلى الأديان كافة، فإن توجد فى الأزهر هذه البيئة الدينية المدركة فسينهض منها لا محالة من يحول بين هذه العواصف العاصفة بالإيمان وبالقيم الروحية أن تنزع من صدور الناس وأن تذهب هذه العواصف بما بقى فى هذه الصدور من إيمان.

وكانوا يرغبون أن توجـد فى الأزهر بيئة علمية مدركة مستنيرة تخرج للناس هـذا التراث العلمى الإسلامى الفريد، فتجلوه لعيونهم وأفهامهم، وتبرز هذا الركاز العظيم المطمور من علوم العرب والمسلمين فى كل فن وعلم، هؤلاء يدرسون هذا التراث بعقولهم المدركة المستنيرة، فيظهرون الناس على ما فيه من عمق ومن سعة ومن دقة ومن شمول، وهؤلاء يبرزون هـذا الركاز المطمور بما ينشرون ويخرجون من كتب ومن مذاهب وآراء ومن شروح وفهارس ومن تبويب.

وكانوا يرغبون فى أن يخرج الأزهر للناس طائفة من العلماء، منيرة عقولهم شـجاعة أفئدتهم «يدركون مسافة البعد بين روح الأزهر وحياة الناس، ويعلـكون — كما يقول الأستاذ الزيات — تزييف «الأباطيل المقدسة» التى اتسمت بسمة الحق وتسمت باسم الدين» (١)

وكانوا يرغبون فى أن يخرج الأزهر للناس طائفة من رجاله يكونون للناس مثلا فى كرم الخلق والحرص على أداء الواجب والزهد فى زخرف الحياة وما يطمع الناس فيه من مجد ومن مال ومن صدارة.

طائفة من الناس شعارهم المحبة والتسـامح والمودة وكرم النفس والترفع عن الصغيرة والشجاعة فى الحق وعفة القلب واليد واللسـان، يحملون خير الناس مقدماً على خير أنفسهم، والعمل للناس قبل العمل لذواتهم وأشخاصهم وأطماعهم.

طائفة من الناس تقوم حياتهـا على الإيثار والتضحية، والنصيحة بالعمل قبل القول وبالمثل والقدوة قبل الدعوة والتمثيل

طائفة من الرجال يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها وجهالة العوام فيها وتواكلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شؤون الحياة، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم، ويعملون على خلاص هذه الأمة الإسلامية مما هى فيه من جمود ومن جهالة ومن أنانية وجحود.

هذا هو الإصلاح للأزهر وهذه سبيله.

فهل أنا مخطىء إذ أقول إن الأزهر لم يُصلح ؟..

وهل أنا متشائم إذ أقول متسـائلا إن بين الأزهر وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً، وإنى لست أدرى هل إلى هذا الإصلاح سبيل ؟..

أما الخطأ فأعتقد أنى لست مخطئاً، ولا أعتقد أن أحداً يرى غير ما أرى وهو منصف مدرك.

وأما التشـاؤم والتفاؤل فليس عندى عليهما جواب، وقد تجيب عنى الحوادث والأيام.

محمود الشرقاوى

---

(١) كان الصديق الأستاذ الزيات فى يوم من الأيام متفائلا أيضاً أنظر مقال «هل انبعث الأزهر ؟» فى صدر العدد ٤٠٨ من الرسالة «٢٨ ابريل سنة ١٩٤١»

(١) مقال «هل انبعث الأزهر»

معركة صبيان

للأستاذ نجاتي صدقي

كانت المواصلات بين أحياء القدس العربية واليهودية منقطعة إنقطاعاً تاماً ... وإذا ما تخطت سيارة من سيارات الطرفين الحدود فمعنى ذلك أنها موفدة بـ « مهمة » لا عودة لها بعد أن يتم لها إنجازها .

إلا أن هناك نوعا من سيارات الشحن اليهودية كان يحق لها أن تخترق أحياء القدس العربية على شكل قوافل أربع مرات في اليوم ، هي سيارات (البوتاس) .

والسيارات هذه تابعة لشركة البوتاس التي تقع معاملها على ضفة الأردن الغربية ، في بلدة (كاليه) اليهودية الصناعية ، وهي تستخرج ملحه البوتاس من رواسب البحر الميت ، ثم تعبئه في أكياس وترسله إلى القدس في سيارات شحن ضخمة ، حيث تتولى وكالة لها تصدير هذه المادة الكيماوية الهامة إلى الخارج فلسطين

في بدء الحوادث كانت سيارات البوتاس تسير بحماية عدد من البوليس ... ثم جعلت مقدمة كل سيارة مصفحة بالفولاذ لا يظهر منها سوى ثلاث كوات ، إحداها أمام السائق اليهودي ، واثنتان عن يمينه وعن يساره ... ثم صارت مصفحات الجيش ترافق هذه السيارات ... ثم أخذ فريق من الجند بكامل معداته يصحبها في طريقها الممتد من أريحا إلى وادي موسى ، إلى قرية العازرية ، إلى باب الأسباط في القدس فحلة وادي الجوز ، فباب الساهرة ، فالشيخ جراح ، فالأحياء اليهودية .

وكانت هذه السيارات تتعرض في كل سفرة إلى استقبال حار من العرب ، لكنه عديم الجدوى ، لأن الرصاص كان يستكين في الأكياس ، أو يتدحرج على أضلاع المصفحات حانى الرأس منكسر الخاطر ! ..

وذات يوم عقد جماعة من صبيان وادي الجوز وباب الساهرة اجتماعاً سرياً في حديقة المتحف الفلسطيني بالقدس ، وكان موضوعه رسم خطة للاشتباك مع سيارات البوتاس في معركة !..

قال حسن ، وهو أجير بقال : إنني أرتأى أن نرش الطريق بالمسامير ! ..

فهزأ منه صحبه قائلين إن عجلات هذه السيارات من المطاط المسكوب لا المنفوخ .

فقال سليم ، وهو صبي ميكانيكي : إنني أرتأى أن نسد الطريق بالحجارة ، وحين يخرج القوم من سياراتهم لإزالة ما نضعه من عوائق أمطرناهم بوابل من الحجارة ! . .

فاستسخف الأولاد رأيه قائلين سيتولى الجند إزالة الحجارة ويذهب مجهودنا سدى . .

فقال شكري ، وهو تلميذ في الصف الثاني الابتدائي : إنني أرتأى أن نغتنم فرصة مرور السيارات من هذه الناحية ونقفز عليها ونثيرها ضجة تلقي الهلع في قلوب السائقين ، فيضطرب حبل توازنهم ، ويصدم بعضهم بعضاً ! . .

فضحك زملاؤه من اقتراحه هذا قائلين : وماذا يحل بنا في هذا الصدام ونحن ممتطون ظهور هذه السيارات ؟ ! . .

فقال عبده ، وهو أجير فران : إنني أرتأى أن نضع قشاً في طريق السيارات ومتى اقتربت منها أضرمنا فيها النيران ... وسأتولى إحضار القش من الفرن أثناء غياب معلمي ! . .

فقال له المجتمعون : كلامك هذا غير موزون ، أتظن أن هذه السيارات هي أرغفة خبز وأنها ستنتظرك حتى تشعل فيها النيران ؟

ثم ماهي كميات القش التي ستحضرها من الفرن ؟ . .

فقال موسى ، وهو ابن أحد الجنود العرب الذين اشتركوا في الحرب العالمية الثانية : إنني أرتأى يا أولاد أن نقذف السيارات بالزجاجات المحرقة ! . .

فدهش الصبية وقالوا بصوت واحد : وما هي هذه الزجاجات؟

قال :أنا أصنعها .

قالوا : وكيف تصنعها ؟ . .

قال : أحضر زجاجات (كازوزة) فارغة ، واملأها بنزيناً .

ثم أخرق سدادة كل زجاجة وأضع فيها فتيلاً يمتد إلى البنزين ... واشعل الفتيل واقذف الزجاجة على الهدف ، فتتكسر ويلتهب البنزين ! .

من وحي الصوم :

هيام المتصوفين

للشيخ محمد رجب البيومي

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

مَن من الناس غير المتصوفين يلوذون بالمقابر الموحشة فى الغياهب الحالكة ، وكأنهم يخفون إلى رياض مونقة يداعبها عاطر النسيم ؟

إقرءوا ما سطره البهلول فى سكون الأجداث ، وتمالوا معى نتساءل كيف أوحت إليه من المعانى الممتازة ما توحيه الجنان الضاحكة لشاعر مطبوع ؟ ! أليس هذا من العجيب ؟

وما تقولون فى الأحلام الساحرة التى يشاهدها القوم فى تلك الأماكن الباكية ؟ وهل علمتم أن منهم من رأى فى منامه قبوراً تنشق وتخرج منها طيور مجنحة تملأ الأفق ، ثم يسطع نور علوى من السماء فيلبس الأجداث حللا بيضاء ، ويهب نسيم عاطر فينعش الأموات !!

خيال غريب ، وتزداد غرابته حين نعلم أنه استمد أصوله من الأشلاء المتناثرة ، والظلام الدامس ، والحجارة الصماء !

أضف إلى ما تقدم كله ، ما عرف عن القوم من السهر الطويل ومحاربتهم النوم بشتى الوسائل ، ولعلهم يجدون فى سكون الليل سلما إلى التحليق فى أجوائهم العالية ، فقد شاع لديهم أن أعمال المؤمن تتبدد وتتلاشى إذا عرفها الناس ، أما الأعمال المستترة فهى الباقية الدائمة ، ومن ثم لاذوا بالظلام وتسربلوا ثيابه السوداء ، فنشطوا للعبادة نشاطاً يغبطون عليه !! وتفرغوا للركوع والقيام فإذا نشر الفجر أجنحته تحسروا كثيراً لرؤية الضياء !!

أى سلاح كانوا يستعينون به فى مصارعة هذه الأهوال ؟ !

لا شىء غير الصبر الجميل ؛ فقد وطنوا أنفسهم على تحمل كل مكروه ؛ وهم يرحبون بالأذى فى الله ترحيباً يفوق كل ترحيب؛ ولهم فى ذلك روائع مدهشات . قال ذو النون المصرى : دخلت على مريض أعوده فسمعته يئن فقلت له : ليس بصادق فى حبه من لم يصبر على ضربه . فصاح من أعماقه : لا ولا صدق فى حبه من لم يتلذذ بضربه ! وهذا رد مسكت بليغ وقد صفقت بدون وعى

فأعجب الصبية بهذه الفكرة الجبارة وأقروها ، ثم وزعوا فيما بينهم إحضار المواد اللازمة . فأجير البقال تبرع بالزجاجات الفارغة ، وأجير الميكانيكى تبرع بالبنزين ، وغيرهم تبرع بالفتيل والكبريت .

ورسمت الخطة ... وهى أن ينتشر الصبية على سور المتحف الفلسطينى ، وعند ما تمر سيارات البوتاس بهذا السور يصرخ موسى : « عليهم » ! . . فيقذفون الزجاجات دفعة واحدة ، وينتهى الأمر .

وهكذا كان ... إذ بينما كانت تسير السيارات فى حولتها بالقرب من سور المتحف الفلسطينى قذفها الصبية زجاجات البنزين ، فسقط بعضها فى الطريق واشتعل ، وسقط غيرها على جوانب السيارات والتهب ... وسقط غيرها على أسطحة غرف السواقين واحترق .

ولما رأى من فى داخل السيارات أن النار تشتعل هنا وهناك قفزوا منها ظانين أنهم وقعوا فى شرك مرعب ... وفى هذه اللحظة تقدمت بعض مصفحات الجيش لإنقاذ الموقف ، وضرب الشاة طوقاً حول مكان الحادث ، وراح غيرهم يبحث عن الهاجمين فى حديقة المتحف الفلسطينى فوجدوهم مستلقين فى نواويس رومانية قديمة ! . .

واكتفى الضابط باعتقال موسى ، فوضعه فى مصفحة وسار به مع القافلة متجهاً نحو الأحياء اليهودية ، وكان كلما مر به على جمع من اليهود أمره بأن يطل عليهم من الكوة ... ثم يأخذ أذنه بين أصبعيه ويفركها قائلاً : إذا عدت إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال قبضت عليك ثانية وأنزلتك فى هذه الأحياء ! . . ثم أعاده إلى أهله .

وفى صباح اليوم التالى رؤى الصبية مجتمعين فى مكان ما فى القدس ، وقد أغرقوا رؤوسهم فى جريدة صباحية يفتشون فيها عن أبناء معركتهم ! . .

نجاتى صدقى

وأنا أطالعه فى مصارع العشاق .

وشبيه بذلك ما حكاه على بن سعيد العطار قال : مررت بكفيف مجذوم وفوقه زنبور يقع عليه فيقطع لحمه ! فحمدت الله أن عافانى مما ابتلاه ، فصاح فى وجهى : « ما دخولك فيما بينى وبين الله ؟ فوعزته لو قطعنى إرباً ، وصب علىّ العذاب صباً ، ما ازددت له إلا حبا » فما رأيكم فى هذا الرد الآخر ؟ إن صحائف المتصوفين لتزدحم ازدحاماً بأمثال هذه الروائع . وهى عبر تخلق من الثكلى الصارخة حجراً صلداً لا ينبس بنت شفة وإن فارقها أعز الأبناء !

إن العارفين بالله يرون الأذى الجسمى امتحاناً سماويا ، ولا تصدق محبتهم إلا إذا قابلوه مقابلة طيبة ووقع من نفوسهم أطيب موقع وأرضاه ، وقد يبدو لبعضهم أن يمتحن أصحابه بالإيذاء كما يمتحن المولى عبيده بالأوصاب ، فقد زار أبا بكر الشبلى جماعة من أحبائه وهو مريض بالمارستان ، فسألهم عن مجيئهم ، فقالوا إنا محبوك يا أبا بكر ، فرماهم بحجر كان فى يده ، فلاذوا بالفرار وصاح بهم الشبلى : يا كذابون ، لو صدقتم فى محبتكم ما هربتم ! وكأنى به وقد رأى فى ربه أعظم مثال للاقتداء !!

ولنا أن نتساءل : أكان المتصوفون يشعرون شعوراً تاماً بشدة ما يكابدونه من أنواع الإيذاء ؟ أم أن فيهم من وصل إحساسه إلى درجة يهون معها التعذيب كما تنطق بذلك بعض الروايات ؟

أرجو أن يكون القارىء واسع الصدر فلا يتعجل بتكذيب ما نعرضه بين يديه ، فلن نرسل الكلام إرسالا بدون تعليل وتدليل ، وإن كنا نتكلم فى خوارق بعيدة ، تفعل بالعقول — بادىء ذى بدء — ما تفعله الزلازل فى قنن الجبال .

فهل صحيح ما روى عن أحد الأقطاب أنه كان يسير على الماء وحوله الموج المتلاطم يتراكب بعضه فوق بعض ، وكأنه يسير فى طريق ممهد يدرج عليه الناس !!

وهل صحيح أن الشبلى كان ينتف اللحم من وجهه بمنقار حاد ، فإذا سئل عن ذلك قال : ظهرت الحقيقة ولست أطيقها فأنا أدخل على نفسى الألم لأحس به ولكن هيهات هيهات !!

وهل صحيح أن أبا الحسن النورى سمع منشداً يقول :

ما زلت أنزل من ودادك منزلا   تتحير الأفهام دون نزوله

فتواجد وهام فى الصحراء ثم وقع فى أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله كظبا السيوف ، فكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من قدميه ، ولا يشعر بشىء من العذاب !

إن فى كتب التصوف أقاصيص عديدة من هذا الطراز ؟ فهل نحكم عليها بالوضع والاختلاق ؟!

سنجد كثيراً من الناس يلوون ألسنتهم ويقولون فى تهكم بالغ : خرافات كاذبة ، ما كان لكاتب أن يسطرها فى صحيفة الرسالة الغراء !!

ونحن — فى الرد على ذلك — لا نستشهد بما سطره المتقدمون فى بطون الأسفار ، ولكننا ننتقل إلى القرن العشرين لنرى مايجد فيه من خوارق العادات .

لقد نقلت مجلة الهلال بعددها الصادر فى أغسطس سنة ١٩٤٧ عن مجلة « انتير » الفرنسية ، حوادث مدهشة تفوق ما قدمناه ؛ وقد اعترف بها كثير من أساطين العلم الحديث ، ولم يمدموا لها التعليل العلمى ولو أنها سطرت فى كتب المتصوفين لقوبلت بكثير من الاستخفاف . ولا نحب أن نطيل على القارىء ، ولكن نضع أمامه هاتين الحادثتين — مما ذكرته الصحيفة الفرنسية — وله أن يقول فيهما ما يشاء .

١ — كان « ريشادسون » الفرنسى يضع الجمر فى فمه ويمضغه فلا يصاب بأذى ، وقد وضع على لسانه جمراً فوقه قطعة لحم ثم قدمها ناضجة بعد دقائق إلى من شاهدوه من العلماء ! !

٢ — قام الهندى « كودابوكس » بتجربة رائعة فى انجلترا أمام رهط من رجال العلم والصحافة أثبت فيها قوته الخارقة على مقاومة الاحتراق بالنار ، فقد حفروا حفرة طولها أربعة أمتار وعرضها متر ونصف وقد ملئت بالخشب والحطب ، واضرمت فيها النار حتى ارتفع لهيبها ، وجعل الهندى يمشى فى ذلك الأتون الملتهب ذهاباً وجيئة من أول الحفرة إلى آخرها ، وفحصت قدماه بعد ذلك فلم يظهر بهما أثر من آثار النار ! !

فما رأى القراء فى هذه الخوارق ؟ وإذا صحت على يد أناس لا يتصلون بالسماء ، فكيف ننكر أشباهها على الأولياء !

إن الإنسان العادى قد يوجه تفكيره إلى ناحية هامة تستولى

على إدراكه فلا يشعر بشيء سوى ما يفكر فيه . وقد قرأت في الصحف ذات يوم ، أن النار قد شبت في حجرة ريفية وكان بها طفل صغير ، فاقتحمت أمه النار ، وأنقذت ولدها ثم خرجت إلى الناس واللهب يمزق قدميها وهي لا تشعر به حتى نبهها الحاضرون فليت شعري هل يحس بألم جسدي من يرى بعينيه أنوار السماء مهما مزق جسده الرصاص ؟ !

أفيئوا إلى قلوبكم أيها القوم فإن الحق يتسرب إليها بدون استئذان ؟

لماذا نسير في طريق معوج ولا نلجأ إلى الصراط المستقيم ؟ ألسنا نعرف أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فماذا قال هذا الكتاب ؟ !

لقد ذكر أن امرأة العزيز جمعت صواحبها وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً ، وقالت (ليوسف) أخرج عليهن ؛ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . فهل نمترى في ذلك بعض امتراء .

لقد أبدع اليافعي رحمه الله حيث قال في التعليق على هذه الآية الكريمة «وهذا في محبة مخلوق فكيف في محبة الخالق ، ولا ينكر ذلك إلا من لم يذقه » وأنا أقول زيادة على ما تقدم ، إن عدم الإحساس بتقطيع الأيدي كان تملة لامرأة العزيز وهي حينذاك مدعية كاذبة ، فكيف ننكر نظائره على البررة من الأولياء ، أما معجزة يوسف فهي تأويل الرؤيا بدون نزاع .

إذن فقد آن لنا أن نعترف بما قدمناه عن المتصوفين فنجزم أن الشبلي لا يحس بتقطيع لحمه ، وأن النوري لا يشعر بتقاطر دمه ؛ ونصدق قول الجنيد رحمه الله « كنت أسمع السري يقول : قد يبلغ بالعبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به . وكان في قلبي من ذلك شيء حتى بان لي أن الأمر كما قال » .

والواقع أن هذه الخوارق العجيبة هي التي جذبت الخاصة والعامة إلى هؤلاء المتصوفين فكانوا أقوى سلطاناً من الملوك ، وكان العارف يعتصم بجبل نازح فتخف إليه الوفود تلو الوفود ، وقد يقول الرجل كلمة فترفع الخامل وتسقط النابه ، بل إن أمراء المؤمنين كانوا لا يستنكفون من الخضوع لما عليه الزهاد ، وأخشى أن أعرج على شيء من ذلك ، فأخوض في حديث معاد !

هل أتاكم نبأ أبي سعيد أبي الخير الذي كان مريدوه يتضاربون بالسيوف حرصاً على ماء وضوئه ، والسعيد من حصل على قطرة واحدة يُضيء بها جبهته . ويذكرون أن قطعة صغيرة من قشر البطيخ قد سقطت منه ، فتهالك عليها الناس واشتراها أحدهم بعشرين ديناراً . فهل بلغ هذه المنزلة في النفوس أمير أو وزير !! ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولقد ظهر انكباب العامة على العارفين في حلقات السماع ، حيث كان لكل متصوف مجالس إنشاد تقام في أوقات معينة ، فما يحين ميعادها حتى تتدافع عليه الناس من كل حدب وصوب ، وطبيعي أن يكون المنشد ويسمى (بالقوال) حسن الصوت ، لطيف الذوق ، فيختار من الأبيات الرقيقة ما تطرب له المشاعر وتهيج به القلوب ، حتى كان بعضهم يصيح من وجده ، وأحياناً تأخذه النشوة ، فيهيم على وجهه في الآفاق كأنما نشط من عقال . إن للصوت الجميل أثره البالغ في الاحساس ، فما ظنك إذا اقترن بمعنى سماوي رائع ، ثم سمعه صب ذواق يدرك ما يهدف إليه تمام الإدراك ؟ أليس من القليل عليه أن يترنح ذات اليمين وذات الشمال كمن دارت برأسه العقار .

وقد رق شعور المتصوف فيسمو إلى ما لا تحيط به عين ، وإذ ذاك يقف في مكانه لا ينطق بشيء . وليس ذلك في مجلس السماع فحسب ، بل في كل موقف تهطل فيه سحائب الرحمة ، فقد وقف أبو بكر الشبلي على عرفات مدة طويلة فلم تتحرك شفتاه بشيء ، وللحجاج حوله ضجيج وعجيج ، فهل يكون هؤلاء أكثر رغبة منه إلى الله ؟ أم أنه شاهد ما خفي عن غيره فعقد الموقف لسانه ، ورجع إلى مقره شارد العقل متقد الضلوع .

إن كثيراً من المتصوفين يتخيلون أنفسهم تحلق في عالم آخر وتشاهد أضواء متألقة لا تتاح لأحد . وقد سئل بعضهم في ذلك فقال : والله لو غاب عني لحظة لتقطعت » وهم يجزمون أن العارف الصادق يصبر عن كل شيء عدا رؤية مولاه . وقد وقف رجل على الشبلي رحمه الله فقال له أي الصبر أشد على الصابرين ؟ فقال الصبر لله ! فقال الرجل : لا . فقال الشبلي : الصبر مع الله ، فقال الرجل لا ، فغضب أبو بكر وقال : ويحك فأي شيء إذن ؟ فقال الرجل : بل الصبر عن الله عز وجل . فصرخ الشبلي صرخة كادت تتلف

روحه ، وكأنه رأى صاحبه قد سبقه فى الطريق فمنف نفسه أحر تمنيف وأقساه ! !

وكثير منهم من يذرف الدموع الغزار حين يخطر بباله أنه غير أهل لمحبة ربه . كيف وقد وقر فى نفوسهم أن ما على الأرض من حيوان ونبات وجماد يسابقهم مسابقة شديدة فى الافتتان بخالقه ، فهم يتنافسون فيما بينهم منافسة حادة تضطرم فيها الأحشاء . ولهم فى هذا الصدد نوادر غريبة ، فقد حكى سهل ابن عبد الله أنه قابل دباً فى فلاة فحادثه وناقشه ! ! وعلم منه أنه — مع فريق من الوحش — هائم فى ذكر ربه ! ! فما منشأ هذه النادرة ؟ وهل استنبطها سهل من قول الله « وإنْ من شئ إلا يسبح بحمده » وما موقفه بعد ذلك بين يدى نفسه حين يرى أنه بالنسبة إلى غيره ليس فى العير أو النفير ! مسكين مسكين ! !

وإذا غرق العارف فى لجج الصبوة لم يجد فى قلبه فراغاً يسع شيئاً آخر غير ما هو فى سبيله ، ولذلك كان الصوفيون رهباناً لا يتزوجون ولا يتنعمون ، مع أنهم ينضوون تحت لواء الإسلام ! !

هل سمعتم تحذير مالك بن دينار من الزواج ؟ وهل فكرتم فى علة ذلك ؟ لأنه يرى اللذة الجسدية سبة نكراء لا يعبل إليها غير الدهماء ، أم ترى ماذا يكون .

إن القوم مكبلون بما ورد فى الكتاب والسنة من الترغيب فى الزواج فبأى سلاح دافعوا عن مبدئهم الغريب ؟

لا يستطيع السامع أن يظفر منهم فى هذا الموضوع بغير الأساطير ، وللأساطير فى نفوس العامة فعل السحر ، فهى تقوم مقام الآيات والأحاديث ، إن لم تفقها عندهم فى بعض الأحايين ، وفى الآدميين من سلبوا العقل الناصح فهاموا كالدواب ! !

وأقرأ هذه (الخرافة) أمام على ساذج فستجده ينجذب إليها أتم انجذاب ، وربما ندم على ما فرط فى جنب الله حين أقدم على الزواج .

« قال بعضهم كنت فى زاوية بمصر فخطر بقلبي أن أتزوج ، وقوى عزمى على ذلك . فخرج من القبلة نور لم أر مثله ، وإذا بيد فيها نعل من ياقوتة حمراء ، وشراكها من زمرد أخضر مرصع باللؤلؤ ، ثم سمعت هاتفاً يقول : هذه نعلها ، فكيف لو رأيتها ! فذهبت عنى شهوة النساء »

فما معنى هذه الأسطورة ؟ وهل يحرم من الحور فى الجنة من يتصل اتصالاً شرعياً بالنساء ؟ هذا جائز جداً فى منطق البلهاء .

إن القلب لا يتسع لأكثر من واحد ، فلا على الصوفى إذا قنع بمحبة ربه ، ولكن ما ذنب العامة من الدهماء ؟

إن للقوم شطحات وشطحات ، ولا حيلة لهم فيما يشطون به من الآراء ، فقد تفرد الله وحده بالكمال . ومن ذا الذى ترضى جميع سجاياه ؟

وبعد فقد حاولت أن أروح عن نفسى بكتابة هذا البحث ، فقد حبب إلى أن أقوم بجولة خاطفة فى ميدان التصوف النظرى فأطالع الأسفار ، واستنطق السطور ، بعد أن أخفقت فى ميدان التصوف العملى ، فقد أعددت العدة ، وسرت خطوة واحدة ، ثم وقفت كالمقيد المكبول ، فلا أستطيع أن أتقدم ، ويعز علىّ أن أرجع حيث بدأت وأنا فى الاضطراب والحيرة كأسير أم عمرو الذى قال فيه أحد كبار الهائمين .

سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها	تحل الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة	ولا هو ممنون عليه فيطلق

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

٣١٠٨

في آفاق حافظ إبراهيم

بمناسبة ذكرى وفاته

للأستاذ حسين مهدي الغنام

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ومن أمثلة سخريته المستترة ما كان بينه وبين شوقي .

فقد وقف شوقي بين حافظ وبين القصر كالعارض الضخم ، لا يستطيع حافظ أن ينفذ منه إلى صاحب القصر حتى يستطيع أن يصيب بعض ما أصاب شوقي ، ولكن شوقياً لم يترك له مجالاً ينفذ منه .

فقد حاول حافظ أن يتملق شوقياً ، بل قد تملقه فعلاً ، فقال في بعض شعره يمدح الخديوي :

لم أخش من أحد في الشعر يسبقني   إلا فتى ما له في السبق إلاء

وفي قصيدة ثانية :

إلى سدة العباس وجهت مدحتي   بتهنئة (شوقية) النسج معطار

ومنها :

معان وألفاظ كما شاء أحمد   طوت جزل بشار ورقة مهيار

ويعلل أحمد بك أمين في مقدمته لديوان حافظ هذا البيت بقوله : الظاهر أنه يريد التغني بهذا البيت .

ولكني أراه يقصد شوقياً ، كما قال فيما تقدم . والسخرية في هذه الأبيات واضحة .

ومن سخريته بشوقي قوله يمدح الخديوي في قصيدة أخرى :

واليوم أنشدهم شعراً يعيد لهم   عهد النواسي أو أيام حسان
أزف فيه إلى العباس غانية   عفيفة الخدر من آيات عدنان
من الأوانس حلاها يراع فتى   صافي القريحة صاح غير نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيده   ولا استعان بمدح الراح والبان

ولكنهما تصافيا وتصادقا بعد ...

والأمثلة على هذا كثيرة لا تكاد تحصى .

٤ — شاعر إنساني

من الأمثال العجيبة الدارجة في الطبقات المصرية البسيطة قولهم : فلان هذا رجل إنسان !

فتسأل : كيف ؟

فيقال : إنك لا تسأله شيئاً ويرفضه مطلقاً . ثم هو دائم الاهتمام بغيره وبمن هم أقل منه !

وهذا الوصف الصادق السائر بين الطبقات المصرية البسيطة ينطبق على حافظ إبراهيم في جملته ، وإن ابتسم البعض لهذا الوصف الرفيع ...

فحافظ إبراهيم كان رجلاً (إنساناً) بكل معاني هذه الكلمة ولم تقتصر (إنسانيته) أو عطفه على من هم أقل منه فقط ، بل شملت من هم أكبر منه ، وشملت الأمم والشعوب المنكوبة جميعاً

وليست إنسانية حافظ في أنه كان دائم الإحسان على غيره ، حتى ليجود بكل ما معه لمعدم أو فقير ، ولو بقي جائعاً هو نفسه

وإنما إنسانيته في العطف على العالم المنكوب ، حتى لتراه — مثلاً — يواسي أمة ويعطف عليها ويستدر عطف الغير على هذه الأمة في نكبة ألمت بها ، ولكنه يعود في اليوم الثاني فيحمل عليها حملة شعواء لأنها جارت على أمة غيرها أضعف منها ، كما سترى في قصائده عن إيطاليا بعد .

ومن المعروف أن حافظاً ذاق البؤس واليأس والجوع والحرمان والتشرد ، فهذا مشهور في سيرته .

ولقد قال أبياتاً في هذا المعنى في إحدى قصائده في حفلة رعاية الأطفال :

لم أقف موقفي لأنشد شعراً   صب في قالب بديع النظام
إنما قمت فيه والنفس نشوى   من كؤوس الهموم والقلب دامي
ذقت طعم الأسى وكابدت عيشاً   دون شربي قذاه شرب الحمام
فتقلبت في الشقاء زماناً   وتنقلت في الخطوب الجسام
ومشى الهم ناقباً في فؤادي   ومشى الحزن ناخراً في عظامي
فلهذا وقفت أستعطف النا   س على البائسين في كل عام

ولم تكن إنسانيته من نوع إنسانية أبي العلاء المعري الذي يقول :

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به   أبر من درهم تعطيه محتاجا

فإنسانية أبي العلاء هنا إنسانية متطرفة ، هي أقرب إلى السخرية والتهكم منها إلى الإنسانية ، فإنه هنا لا يفرق بين الطيب والخبيث ، والنافع والضار ، وحسبه أن يعطفك على الأضعف منك ، رديئاً كان أم جميلا !

وليست هذه بالإنسانية العليا ...

أما إنسانية حافظ إبراهيم فإنسانية عليا .

إنه يعطفك على المعوز والمحتاج ، ويعطفك على المنكوب والمكلوم ، سواء كان ضعيفاً أم قوياً ، ولكنه لن يعطفك على الظالم والخبيث .

على أن هذا لا يعني أن أبا العلاء لم يكن شاعراً إنسانياً عالياً في نواحيه الأخرى ، فأبو العلاء كان ولا شك شاعراً إنسانياً عالي الإنسانية مرهفها ، وهو الذي لم يتزوج حتى لا يجني على أبنائه ، ثم قال : هذا جناه أبي عليّ ، وما جنيت على أحد .

ويلتقي حافظ إبراهيم وأبا العلاء في هذه الناحية ، وإن كان تزوّج لأيام لا تعدو الأربعين ، ثم انفصل عن زوجه ، ولكنه يقول :

وددت لو طرحوا بي يوم جئتهمو — في مسبح الحوت أو في مسرح العطب
لعل (مانيّ) لاقى ما أكابده — فود تعجيلنا من عالم الشجب

فحافظ إذن يلتقي مع أبي العلاء في ناحية ويخالفه في أخرى .

قال حافظ في إحدى قصائده في جمعية رعاية الأطفال :

قد مات والدها وماتت أمها — ومضى الحِمام بعمها والخال
وإلى هنا حبس الحياء لسانها — وجرى البكاء بدمعها المطال
فعلمت ما تخفي الفتاة وإنما — يحنو على أمثالها أمثالي

فهو يحس أن له رسالة إنسانية كبرى ، تحنو على الفقير والضعيف والمريض .

ويقول في رثائه تولستوي :

ولست أبالي حين أبكيك للورى — حوتك جنان أم حواك سعير
فإني أحب النابغين لعلمهم — وأعشق روض الفكر وهو نضير
دعوت إلى عيسى فضجت كنائس — وهز لها عرش وماد سرير

***

قضيت حياة ملؤها البر والتقى — فأنت بأجر المتقين جدير
وسموك فيهم فيلسوفاً وأمسكوا — وما أنت إلا محسن ومجير
وما أنت إلا زاهد صاح صيحة — يرن صداها ساعة ويطير

***

حياة الورى حرب وأنت تريدها — سلاماً وأسباب الكفاح كثير
أبت سنة العمران إلا تناصراً — وكدحاً ولو أن البقاء يسير
تحاول دفع الشر والشر واقع — وتطلب محض الخير وهو عسير

***

ألم تر أني قمت قبلك داعياً — إلى الزهد لا يأوي إليّ ظهير
أطاعوا (أبيقورا) و (سقراط) قبله — وخولفت فيما أرتئي وأشير
ومت وما ماتت مطامع طامع — عليها ولا ألقى القياد ضمير

***

أفاض كلانا في النصيحة جاهداً — ومات كلانا والقلوب صخور

هذه هي دعوته للحق وتحكيم الضمير والعمل للخير المطلق ، بين الناس والأمم جميعاً ، لا فرق بين دين ودين ، كما قال في حرب طرابلس ، مخاطباً البابا :

بارك المطران في أعمالهم — فسلوه بارك القوم على ما
أبهذا جاء إنجيلهمو — آمراً يلقي على الأرض سلاما

ثم أسمعه يقول في زلزال مسينا ، بعد أن وصف نكبة الطليان ، واستدر عليهم عطف العالم جميعاً .

وسلام على امرئ جاد بالدمع وثنى بالأصفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان
فاكتبوا في سماء رجيو ومسين وكالبريا بكل لسان
هاهنا مصرع الصناعة والصور والحذق والحجا والأغاني

إنه يستعطف بني الإنسان من كل لون وجنس ولسان ، وإن كان يقول إن هذا ليس إحساناً ، لأنه حق الإنسان عند أخيه الإنسان ، وكأنما يثأر حافظ للضعيف هنا ، وينتصر المغلوب ، حين ثار الزلزال والبحر فأهلك مسينا وأهلها .

ولكنه في قصيدته عن حرب طرابلس ، يحمل على الطليان حملة عنيفة شعواء ويسخر منهم سخراً مراً ، ويستعدي عليهم العالم ، فما سبب ذلك ؟

سببه إنسانيته أيضاً ، وانتصاره للضعيف المغلوب .

ومن هذا أيضاً شعره الرثائي ، فشعر الرثاء في ذاته من أعلى ضروب الشعر الإنساني !

وغير هذا كثير . وهذه أعلى مراحل الإنسانية .

٥ — شعر حافظ

من الأقوال المأثورة عن الأسلوب قول سانت بيف ، على ما أذكر ، ما معناه : إن الأسلوب يعبر عن صاحبه .

أي إنه يعبر عن روحه .

ولقد امتاز شعر حافظ بأنه يعبر عن شخصيته ، أي روحه ، تعبيراً قوياً …

والمعروف عن حافظ أنه كان شديد المرح في حياته الخاصة ، مع أن شعره وأدبه ، في مجموعه ، كان شعراً وأدباً رزينين جادين

فكيف نوفق إذن بين ذلك الرأي وهذه الحقيقة ؟

وهل كان حافظ ذا شخصيتين مزدوجتين كما قال أحد الكتاب

كلا …

فإن نفسه الحزينة — التي عرفت الحياة جيداً — سخرت منها سخرية هائلة فأصبحت كما قال المتنبي تتكسر نصالها على نصاله

والنكتة التي اشتهر بها حافظ كانت ستراً لآلامه وأحزانه وإمعاناً في السخرية من الحياة .

ولهذا برز حافظ في ناحيتين من شعره :

الوطنية والرثاء

ويعلل حافظ نفسه هذا بقوله ، عن شعره الرثائي ، في قصيدة تحية الشام :

إني مللت وقوفي كل آونة أبكي وأنظم أحزاناً بأحزان
إذا تصفحت ديواني لتقرأني وجدت شعر المراثي نصف ديواني

***

وهنالك ناحية فنية نحب أن نقرر أن حافظاً كان من أوائل السباقين إلى طرقها والتجلية فيها .

تلك هي الناحية القصصية في شعره .

وإذا كان حافظ لم يسرد قصصاً في شعره بالمعنى القصصي المفهوم ، إلا أنه نظم قصائد اجتماعية وطنية نحا فيها نحو القصة

بلغ بها الغاية مما أراد …

وإذا لم تكن القصيدة التي سماها المنظومة التمثيلية في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت — قصة بالمعنى المألوف ، إلا أن له قصائد فيها قصص ساحر بليغ ، مثل قصائده في رعاية الأطفال وحرب اليابان ، ومراثيه !

ويجمل بنا هنا أن نقف قليلا نناقش رأي أحمد بك أمين في شاعرية حافظ ، في مقدمته لديوانه :

« وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة ، قوة العاطفة ، وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقا . وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

« فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ ، فما يسمع شعره سامع ، ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره ، وعواطفه صحيحة لا مريضة والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا أسعد وأقوى الخ …

« وأما خياله فكان مع الأسف — خيالا قريباً — قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ، وقصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظراً عاماً يجذب النفوس إليه »

ثم ضرب مثلا قصيدته في مدح البارودي وقصته في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت .

إن حكم الأستاذ أحمد أمين على عاطفة حافظ وحسن صياغته وجمال موسيقاه حكم صحيح :

ولكن حكمه على خيال حافظ ، حكم مرتجل يحتاج إلى (نقض) وهو أشبه بالرأي الفطير ، لا يقبل صدوره من رجل كالأستاذ أحمد أمين :

لقد قلنا عن قصيدته في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت أنها ليست في مستوى شعر حافظ ، مع أن لها ما يبررها ، ولكن لا يصح أن نأخذها مقياساً لشعره وسندا نحكم بمقتضاه لحافظ أو عليه .

وإذا كان أحمد بك يقصد من الخيال القصة بمعناها الصحيح

فليست كل القصص خيالا ، وإن كان حافظ نحا نحواً قصصياً فى بعض قصائده كما قدمنا .

ورب بيت واحد من الشعر فيه من الخيال أروع قصة !

فإذا تركنا هذه (القرينة) التى اتخذها أحمد بك أمين سندا لإدانة شاعرية حافظ بالقصور والضحولة ، وفتحنا ديوانه لنقرأ أي قصيدة فيه ، وراعتنا منه خطرات موغلة فى الخيال البعيد ، ولنأخذ مثلا باب (الوصف) من ديوانه ، كما قسمه أحمد بك أمين نفسه .

فاقرأ له وصف كساء ، حيث قال مرتجلا :

لى كساء أنعم به من كساء أنا فيه أتيه مثل الكسائى
حاكه الفر من خيوط المعالى وسقاه النعيم ماء الصفاء

وقصائده فى الشمس ، والسيف ، والمدفع ، وليلة عيد الجلوس ، وزلزال مسينا ، إذ قال :

خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت قضى الأمر كله فى ثوانى

واقرأ قوله :

إذا مررت يوما حذر النمل بعضه مخافة جيش من مواليك يغشاه

أو حتى قوله المفحش فى الهجاء ، والذى لم يثبته أحمد بك فى ديوان حافظ :

أخس من دب على ظهرها ودبت الناس على ظهره !

بل افتح ديوانه واقرأ ما يقع عليه نظرك وتمعن فيه ، سواء كان سياسياً أم اجتماعياً أم رثاء أم فى أى غرض آخر ...

فلعل الخيال الذى يقصده أحمد بك أمين إذن هو التغنى بجمال الطبيعة . أو الغزل ، وهما الضربان من ضروب الشعر اللذان تخلف فيهما حافظ ، لأنه منصرفاً إلى ناحيتين أساسيتين فى شعره ، هما شعره السياسى ، وشعره الإنسانى النزعة .

على أن التغنى بجمال الطبيعة فى حد ذاته ليس خيالا كله !

وناحية أخرى فى شعر حافظ .

تلك هى براعته فى اختيار اللفظ ، وفى تحديد المعنى الذى يريده ، وفى التصوير .

ومن أقرب الأمثلة على ذلك قوله إلى روزفلت ، التى لم تذكر فى ديوانه أيضاً :

إنما شوقها لقولك يا روزفلت شوق الأسير للتحرر فما هى أعلى مراحل الشوق عامة ؟

إن أعلاها هى بلوغ المشتاق ما يريد .

ولقد حدد حافظ مراحل الشوق وأهدافه فى هذا الموضع — بكل هذه البساطة ، فهو شوق الأسير للتحرر ، والمصريون يشتاقون لسماع قول روزفلت حتى يدافع عن حرية هذا الشعب ، الذى شبهه بالشعب الأمريكى ، أيام احتلال الانجليز له !

وهذا أبلغ ما يمكن أن يقال فى مثل هذا الموضع .

ومثل قوله عن الانجليز وسعد :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا سنريه كيف يصيده زغلول

٦ — حافظ الكاتب :

عرف حافظ كاتباً أيضاً ، وقد اتسم نثره بالبلاغة والمحسنات اللفظية والبديع ، ولكن نثره لم يكن فى مستوى شعره .

ولقد ترجم بعضاً من البؤساء لفكتور هيجو ، عنى فيه بالأسلوب ، فتكلف ، ولكنه أحدث بهذا الكتاب أثراً محموداً فى الصحف وفى الترجمة على الأخص ، أذوجه إليها أنظار الكتاب الذين يعرفون لغات أجنبية .

وألف كتاب ليالى سطيح ، وهو أحسن كتبه النثرية ، وقد عنى فيه بالأسلوب أيضاً ، ولكنه حمل فيه حملة اجتماعية وفكرية ووطنية ، لعلها أحدثت بعض الأثر المطلوب فى إبانها !

وله كتاب فى الاقتصاد السياسى ، بالاشتراك مع آخر .

وكتاب فى الأخلاق .

وإذا كان نثر حافظ ، كما تقدم ، فى مستوى أقل من شعره إلا أن فيه ما يجب أن يصان كتراث لشاعر عظيم فقدناه ، ، وكاتب مجاهد يجب أن تخلد جميع آثاره ، فتبقى أثراً حياً بيننا ، وإن كان مثله لا يمكن أن ينسى ، فكلما مر عام أحست مصر وشقيقاتها العربية مرارة فقده ، بحاجتها الملحة إليه ، فهو كما قال حافظ نفسه فى صديقه شهيرين :

مضيت ونحن أحوج ما نكون إليك فثل خطبك لا يهون

هذه عجالة من آفاق شاعرنا حافظ ابرهيم .

وسنعود إليه فى مناسبات أخرى، لنوفيه حقه من الدراسات

حسين مهدى الغنام

عتاب شاعر

طرقت بابك يا صاحب الرسالة حتى كلت كفاى ، وقدمت بين يديك نخبة من أشعارى ، فكان نصيبها الإهمال ؛ وما زال يعاودنى حنين إلى طرق بابك من جديد ، ولكن اليأس أخذ على كل سبيل . وبين ثورة الحنين وهدأة اليأس ، أخذ لسانى يتمتم بهذه الأبيات :

ما بيانى ؟ لقد نكرت بيانى ... وعرانى من أمره ما عرانى
قال لى صاحبى : بيانك فجر ... يبسط النور فى الصوى والمثانى
كم نهبت الأسرار من عالم الغيـ ... ـب وصورتها دُمى للعيان
فلسفى الخطرات محتدم القا ... ب نزوع إلى شموس المعانى
ولك العالم الرحيب بجنبيـ ... ـك ودنيا الهوى ودنيا الأمانى
إن تعش حائل الرواء كئيباً ... نا كس الرأس دائم الأحزان
فلمن تبسم الحياة وتبدى ... عبقرياً من وشيها الفتان
إنها غادة تبرج للنا ... س لتحظى باللحظ من فنان
انفض النوم من جناحك وانهض ... وازحم الطير فى ذرى الأفنان
أنت شبابة الحياة على الأر ... ض فهدهد شعابها بالأغانى
قلت : دعنى فقد نكرت بيانى ... وعرانى من أمره ما عرانى
طاش سهمى لدى (الرسالة) بالأمس وأضحى قربها غير دان
كان حلماً فبادرته الليالى ... كاشرات فمات فى العنفوان
وهو صرح من الأمانى بنينا ... ه قوياً بالروح والوجدان
أرعشت سفحه الرياح اللواتى ... زلزلتنى وطوحت بجنانى
فى خضم الظنون والزبد الطا ... فى تهاوت بزورقى موجتان
موجة اليأس ترتمى فى مداها ... موجة الشك فى سمو بيانى
أين يا قائد الشباب إلى المجـ ... ـد طريقى وأين منه مكانى
أين يا باعث الطموح من الشر ... ق جناحى فقد ملكت هوانى
جئت أشكو إليك نفسك فاسمعـ ... ـنى فإنا يا ظالمى أخوان
أنت أيقظت بالروائع إحسا ... سى ففاض المستور من أشجانى
رضت بالفن مهجتى فتسامت ... عن قيود الدنى وسجن الزمان
فاغترفت الرحيق من حانة النفـ ... ـس طروباً وصحت بالندمان
موعدى منكم (الرسالة) يا قو ... م فبشرى بالرى والإدمان
واستبقت الصباح أجمل أحلا ... مى جميعاً وفرحتى ودنانى
جئت للمرهف الشعور بأشعا ... رى ووجدى الموقظ الوجدان
ثم كان الذى علمت من الأمـ ... ـر وكان القضاء بالحرمان
هل أرقت الدنان يا مسكر الشر ... ق بآى نورية التبيان ؟ !
وأذبت الأحلام والفرحة الكبرى دموعاً موصولة التهتان
هل من العدل أن تداس أناشيـ ... ـدى وتلقى فى عالم النسيان ؟
وهى من نورك الفاض نجوم ... وهى زهر من روضك الفينان
لا أرانى دون الذين أقاموا ... دولة الشعر من بنى عدنان
سل إذا شئت من أردت من النا ... س وسائل صحائف السودان
والجموع التى تخف إلى صو ... تى وسائل منابر المهرجان
يشهد النيل ذو النضارة والمجد ورب الوثبات والإحسان
والهزار الذى يرف بواديه ويشدو فى شطه النعسان
عندما ترقد السكينة فى المو ج وتسرى الأحلام فى الكثبان
بنكر الفن والحياة أبا الفن وحسبى أن تستخف بشانى
أين أين الحنان واحسرتاه من نبى الإحساس والوجدان ؟

محمد محمد على السودانى
الطالب بكلية دار العلوم

و (الرسالة) تُعتِب الشاعر المجيد ، وترجو أن تظفر منه بمثل هذا القصيد .

الفاروق فى أرض السلام

(فاروق) مجدت الجهاد بآية ... هزت فؤاد الشرق من إعجابه
زرت المجاهد فى عرين جهاده ... فشحذت من عزماته وحرابه
أبرأت أوجاع الجريح فلم يعد ... يشكو بما قد ناء من أوصابه
وجعلت تسأل عن شهيد قد فدى ... أرض السلام بروحه وشبابه
فى كل حصن آية أبدية ... من صنع جيشك خطها بحرابه
ما أوقف الفولاذ أبطال الحمى ... م نسل (فرعون) ومن أصلابه

اليوزباشى جمال الدين حماد
المدرس بالمدرسة الحربية الملكية

الأدب والفن في أسبوع

الكاريكاتور في الأدب :

كتب الأستاذ توفيق الحكيم في العدد الأخير من أخبار اليوم ، مقالا بعنوان « الجاحظ والكاريكاتور » قال فيه إنه كان يقرأ في كتاب « التربيع والتدوير » للجاحظ ، فخيل إليه أنه يصنع فناً طريفاً في زمانه دون أن يدرى ، وأنى بوصف الجاحظ لرجل يعرفه جسم فيه عيوبه تجسيما « كاريكاتوريا » بالنثر ، وأتى ببيتين لابن الرومى من هـذا اللون الكاريكاتورى ، ثم قال : « وهكذا زاول العرب فن الكاريكاتور شعراً ونثراً . . حيث لم تتح لهم الظروف أن يزاولوه رسماً ونقشاً . . كل شيء خطر على بال عبقريتهم . وإنهم ليعوضون دائماً ما يفوتهم في جانب بالإجادة في جانب آخر . . قانون التعويض الطبيعى كان رائدهم الخفى في حضارتهم .:. حضارة كاملة شاملة أبى الغرب الظالم المجحف أن ينظر إليها بعين التقدير والتوقير » .

ويذكر قراء الرسالة ما كتبته عن محاضرة الأستاذ كامل كيلانى « الكاريكاتور في الأدب العربى » التى ألقاها بدار الاتحاد النسائى منذ شهور ، ثم محاضرته « الكاريكاتور في شعر ابن الرومى » التى ألقاها بعد ذلك في كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية . وأذكر أنه أفضى إلىّ عقب المحاضرة الأولى بقوله : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يعيبون الأدب العربى بالمغالاة ، وهذا هو نوع من المغالاة نراه مطابقاً في التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

فن الإنصاف وتسجيل الحقائق أن يذكر سبق الأستاذ كامل كيلانى في هذا المجال .

أسماؤنا والنحو :

حضرت يوم الخميس الماضى مناقشة رسالة بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، قدمها طالب من قسم اللغة العربية بالكلية للحصول على درجة « الماجستير » .

ومن طريف المآخذ التى وجهت إلى الرسالة ، أن الأستاذ مصطفى السقا أحد أعضاء لجنة المناقشة طلب من مقدم الرسالة أن يعرب تركيباً ورد فيها أوله « إن الأستاذ أمين الخولى ... » ويقصد الأستاذ كلمة « أمين » يريدها متصوبة منونة مرسومة بالألف ...

ويذكرنى هـذا باعتراض وجهه معقب لغوى منذ سنين بجريدة الأهرام إلى المرحوم الشيخ حسين والى ، لأنه كتب مقالا وقمه باسمه هكذا « حسين والى » وكان عليه — كما رأى المعقب اللغوى — أن يكتب « وال » دون ياء .

ولو تنبه مقدم الرسالة إلى اسم الأستاذ مصطفى السقا لاعترض عليه — جزاء وفاقا — لقصر الممدود فيه وهو « السقاء » من غير ضرورة .

تصور أننا تعقبنا كل أسمائنا المصرية بمثل ذلك ، وخاصة خلوها من كلة « ابن » ما عـدا « عبد الرحيم بن محمود » ! تصور فقط ...

السجل الثقافى :

يعلم قراء الرسالة أن وزارة المعارف أنشأت في العام الماضى إدارة التسجيل الثقافى لإخراج سجل ثقافى سنوى يحوى مظاهر النشاط الثقافى في عام .

والادارة الآن تعمل في إعداد أول عدد من السجل ، وهو الخاص بسنة ١٩٤٨ الحالية ، وقد أتمت قسما منه يشتمل على بيان النشاط الثقافى من أول السنة إلى آخر يونية المـاضى ، وتتخذ الإجراءات الآن لطبع هذا القسم ، على أن يكون في ضمن السجل العام الذى يصدر في أوائل سنة ١٩٤٩ عن سنة ١٩٤٨ كلها .

ويحتوى القسم المنجز على إحصاء للكتب المؤلفة والمترجمة في مصر سـنة ١٩٤٧ ، وبيانات وافية للتأليف والترجمة والصحافة ودور النشر والهيئات الثقافية والمحاضرات العـامة وأحاديث الإذاعة والمؤتمرات والمسرح والسينما ، وغير ذلك من الشئون الثقافية ، عن الفترة الماضية من السنة الحاضرة .

ويؤخذ من تلك البيانات أنه قد صدر بمصر في خمسة الشهور

الماضية ٢١٧ كتاباً مؤلفاً منها ٥٠ فى الأدب ، و ٤١ كتاباً مترجماً منها ١٩ فى الأدب . ورقم الأدب فى كل من التأليف والترجمة أكبر الأرقام .

بين قصيدتين :

أشرت فيما مضى إلى قصيدة الأستاذ على الجارم بك التى قالها أخيراً فى «فلسطين» وألقاها بالمذياع . وقد تناولت أحاديث المجالس هذه القصيدة مشيرة إلى قصيدة شوقى المعروفة بالأندلسية والتى مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا   نأسى لواديك أم تأسى لوادينا

وذلك لاتحاد القصيدتين فى الوزن والقافية ، وفيما هو أكثر من الوزن والقافية ، ومن ذلك قول الجارم :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست   جباهنا تربها إلا مصلينا

فقد قال شوقى فى أندلسيته :

لفتية لا تنال الأرض أدمعهم   ولا مفارقهم إلا مصلينا

الجامعة والمؤسسة :

صدر أخيراً قرار بتغيير اسم الجامعة الشعبية إلى « مؤسسة الثقافة الشعبية» ووجهت إدارتها العامة إلى مناطق التعليم المختلفة والمعاهد الثقافية الإقليمية كتاباً أشارت فيه إلى ضرورة مراعاة ذكر الاسم الجديد فى المكاتبات الرسمية بدلا من «الجامعة الشعبية»

وأنا لم أفهم حكمة هذا التغيير ، ولم أستسغ الاسم الجديد . لقد كان الاسم الأول عذبا مغريا ، فقد كان الطالب يقول إنه ذاهب أو آيب من الجامعة وهو معتز مسرور بالفرصة التى أتيحت له لإشباع رغبته فيما يميل إليه من أنواع الثقافة .

أما الآن فهو ذاهب إلى المؤسسة وعائد من المؤسسة وحدث كذا فى المؤسسة ! اسم ثقيل ولا معنى له ، لأن الشىء المؤسس هو الذى جعل له أساس وهو أصل البناء ، فكيف تصح هذه التسمية ؟ وعلى أى « أساس » تقوم ؟

وما عيب الاسم الأول وقد كان حسن اللفظ والدلالة ؟ يبدو أنهم ضنوا على « الشعبيين » أن يشركوا «الجامعيين» فى الاسم . أو لم تكن تكفى الصفة للتفريق ؟

العربية تصارع :

لاحظ أعضاء لجنة تقدير درجات اللغة العربية فى امتحان الشهادة الابتدائية بالدقهلية ، أن ظروف أوراق الإجابة التى ترد إليهم من لجنة مراقبة الامتحان تستخدم فى بياناتها الحروف والأرقام الإنجليزية لتمييز المجموعات ، كما أن الترقيم على أوراق الإجابة بهذه اللغة أيضاً ، وكذلك ترقيم بطاقات التلاميذ . وقد كتبوا بذلك إلى مراقب منطقة التعليم منبهين إلى أن هذا غير لائق وإلى وجوب تداركه فى المستقبل .

والواقع أن هذا التصرف عجيب ، فهو مخالف للرسميات التى تقضى باستعمال اللغة العربية ، وهو مناف للكرامة القومية ، وأنا أريد أن أسأل هؤلاء الذين تجرى أيديهم بالحروف والأرقام الإنجليزية دون العربية على الظروف والأوراق والبطاقات : هل يمكن أن يكتب الإنجليز على أوراق امتحاناتهم بالعربية ؟ والجواب لا قطعاً لأنهم يحترمون أنفسهم ويشعرون بذاتيتهم .

يظهر أننا لسنا محتاجين إلى الجلاء عن الأراضى فحسب ، بل نحن فى حاجة أيضاً إلى الجلاء عن بعض العقول !

ذكرى حافظ :

تقع فى هذا الأسبوع ذكرى شاعر النيل حافظ إبراهيم ، فقد نعى فى الواحد والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ ، فهذه الذكرى هى السادسة عشرة . وقد جرينا على عدم الاهتمام بذكرى شعرائنا وأدبائنا ، ومن نهتم به منهم لا نحتفى بذكراه الاحتفاء اللائق .

ولم يبد إلى الآن ما يدل على الاهتمام بذكرى حافظ ؛ وقد كانت محطة الإذاعة تحيى ذكراه بأن «يفرد» أحد مذيعيها بعض أشعاره ... ولكنها فى هذا العام نسيته نسياناً تاماً .

حافظ وشوقى :

وقد أخرج — فى هذه المناسبة — الأستاذ حسن كامل الصيرفى كتابه «حافظ وشوقى» الذى درس فيه الشاعرين دراسة مقارنة فصل فيها القول فى النواحى التى اشتركا فيها أو تقاربت صورة المشاركة ، فتحدث عن ديباجة الشاعرين ، وثقافتهما ، وشعرهما السياسى ، والطبيعة فى شعرهما ، والمرأة وأثرها فى كل منهما ؛

وصدى الحوادث عند الشاعرين ، كحادثة دنشواى ، ووداع كرومر ، ووفاة مصطفى كامل ؛ وأثر التاريخ المصرى القديم والتاريخ الإسلامى فى شعر كل منهما ، وما إلى ذلك من الموضوعات التى طرقها الشاعران .

أكاديمية العلوم التاريخية :

تلقت وزارة المعارف من رئيس مكتب البعثات المصرية بلندن ، نص الكتاب الذى أرسله إليه رئيس لجنة المراجع فى أكاديمية العلوم التاريخية ، وفيما يلى ترجمة هذا الكتاب :

فى الجلسة الأخيرة للجنة المراجع التى عقدت بباريس تحت إشراف اليونسكو ، اتجهت الرغبة إلى أن تحوى نشراتنا قائمة موجزة أو بياناً مفصلا للمخطوطات العربية الموضوعة فى تاريخ العلوم . .

وقد طلب إلى أن أكتب إليكم لأسال عما إذا كانت حكومتكم ستوفد أحد الباحثين ليقوم بهذا العمل . وينبغى أن تعلموا أن قائمة المخطوطات الموضوعة فى تاريخ العلوم باللغة اللاتينية واليونانية فى بريطانيا العظمى وأولاندا ، والتى كتبت قبل سنة ١٥٠٠ ، توجد الآن فى المتحف البريطانى تحت أيدى الطلاب ، كما توجد أشرطة سينمائية لهذه القائمة فى معهد واربورج والمبنى الامبراطورى بلندن ومكتبة الكونجرس بواشنجتون

وليس من شك فى أنه لو استطاعت حكومتكم أن تتعاون فى هذا العمل الآخذ الآن فى الانتشار بالبلاد الأوربية الأخرى فإن المراجع العربية الموجودة فى مكتباتكم سوف تضم إلى الكثير من الكتب التى لا تعرف الآن إلا فى اللغة اللاتينية .

فلم فلسطين :

أنحيت باللائمة فى الأسبوع الماضى على السينمائيين المصريين ، لأننا لم نشاهد إلى الآن بإحدى دور السينما مشاهد المجد العربى فى فلسطين على الشاشة البيضاء ويسرنى أن أذكر اليوم أن استديو مصر يعمل الآن فى إعداد فلم كبير تعرض فيه مناظر الحرب الفلسطينية ، وكان قد أوفد بعض الفنانين إلى ميدان القتال لتسجيل هذه المناظر . وستكون حفلة العرض الأولى فى سينما استديو مصر يوم ٢٧ يوليو الحالى . وقدرت وزارة الشئون الاجتماعية ألا يقصر عرضه الأول على هذه الدار ، فتقرر عرضه فى ست دور للسينما بالقاهرة فى وقت واحد ، كما يعرض فى نفس الوقت ببعض المدن الأخرى ، وذلك لتتسنى مشاهدته لأكبر عدد ممكن من المصريين فى القطر كله .

من طرف المجالس :

حضر المجلس جزار بالقاهرة معروف بميله إلى غشيان مجالس الأدب والفن ، وجرت مناقشة أدبية أقحم نفسه فيها ، فقال له أحد الأصحاب :

— مالك وللأدب ... أما يكفيك اللحم والكبد والطحال ؟

فأجابه على الفور :

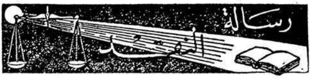
— ألا تعلم أن هذه هي الملقات ؟

تعريف الفلسفة :

عرف الفلسفة كاتب ساخر بقوله :

الفلسفة هي البحث ليلا عن قط فى حجرة مظلمة ولا قط فى الحجرة .

العباس



أين المفر

تأليف الأستاذ محمود حسن اسماعيل

بقلم الأستاذ أنور المعداوي

شاعر ... كلمة أقولها بكل ما يحويه مدلولها من معان يدخل فيها الطبع ، والموهبة ، وسعة الأفق ، وقدرة الجناحين على التحليق ؛ أقولها أنا عن صاحب هذا الديوان حين يطلقها غيرى على كل ناظم ، وكل ناحت ، وكل مصنوع .

قرأت له أكثر ما قال من شعر إن لم يكن كل ما قال ، وفى هذه الفترة الطويلة بين إنتاجه الأول وإنتاجه الأخير لم يتغير رأيى فيه .. لقد ظل على مستواه من الشاعرية التى صقلها الطبع وشحذها التأمل ، وغذاها الخيال . ونحن حين نقرر هذا كله ، نقرره بميزان الوعى الفنى ؛ الوعى الذى تعينه مقاييس الذوق والفن على تحديد الأوضاع والقيم .

ولابد من وقفة قصيرة عند تلك الكلمة التى قدم بها الشاعر لديوانه ، وعرض فيها للشعر العربى الحديث فى شتى فنونه وألوانه وكيف تعددت هذه الفنون والألوان على أيدى أصحابها من الناظمين والشعراء .

وكيف تباينت مصائرها تبعاً لما ينال المعادن الشعرية من زيف فى الفن أو أصالة ؛ وقفة قصيرة لأقول للشاعر إننى كنت أود ألا تظهر تلك الكلمة كمقدمة لديوانه ، حتى لا يتهمه النقاد بأنه ، ما كتبها إلا تزكية لشعره وانتصافاً لنفسه ... على الأستاذ محمود حسن اسماعيل أن يقدم لنا شعره لنحكم له أو عليه ، ولا يحق له بعد ذلك أن يقيم الميزان لنفسه ولغيره فى الوقت الذى يقدم فيه إلى النقاد عملا من أعماله الفنية !

هذه لفتة أسجلها قبل أن أمضى فى عرض شعره ، وقبل أن أقول إننا نعانى تخمة فى الشعر وأزمة فى الشعور ... إن نظرة واحدة إلى ما تخرجه المطبعة من دواوين الشعر فى هذه الأيام ، تنتهى بك إلى الإيمان بهذا الحكم ؛ الإيمان به كحقيقة ملموسة ، ونظرة فيها التذوق والتمعن تسلمك إلى حقيقة أخرى هى أنك لو رحت تبحث وسط هذه التخمة الشعرية عن آثار أدبية ترضى الفن حين تحفل بصدق الشعور ، لما وجدت غير ثلاثة دواوين هى « أين المفر » لمحمود حسن اسماعيل و « طفولة نهر » لنزار قبانى و « الشروق » لحسن كامل الصيرفى ؛ ونظرة فيها التأمل والنفاذ تقنعك بأن أزمة الشعور عند الكثرة الغالبة من شعرائنا مرجعها إلى أن التجربة النفسية قد تمر بهم فكأنما تمر بفراغ موحش لا تلتقى فيه إلا مجموعة حواس معطلة ، لا تستجيب لأحداث النفس والحياة .

أترك هذا لأسجل ظاهرة تلفت الحس الفنى عند قارىء هذا الديوان ، أقصد القارىء المتذوق لا القارىء العجلان ... وهى ظاهرة تتركز فى الحركة النفسية التى تشيع فى الكثير الغالب من قصائده ؛ هذه الحركة النفسية هى « المرصد » الذى يتلقى « الهزات » الشعورية من هنا وهناك ثم « يسجلها » فى بيت من الشعر أو أبيات ... هذه الهزات متفرقة ثم متجمعة تنصهر فى بوتقة الوجدان النابض لتضع بين يدى الناقد نموذجاً كاملا للشاعر الإنسانى ...

محمود حسن اسماعيل فى « أين المفر » مثال صادق لهذا الشاعر ، ولست أجد فى وصف فنه خيراً من تلك الكلمات التى قلتها من قبل عن الفن الإنسانى ، وهو أن يكون الفن انعكاساً صادقاً من الحياة على الشعور ، وأن يكون الشعور مرآة تلتقى على صفحتها النفس الإنسانية فى صورتها الخالدة بكل ما فيها من اشتجار الأهواء والنزعات ... هنا تتحقق المشاركة الوجدانية التى تتمثل فى ذلك التجاوب الروحى بين الفن وصاحبه ، وبين الفن ومتذوقه ، وبين الفن والإنسانية بكل ما فيها من اختلاف الصور والألوان .

الشاعر الإنسانى هنا يقف من وراء هذه الأبيات ، وإن شئت فقل من وراء هذه الأنات ... فى « أغانى الرق » :

ألقيتنى بين شباك العذاب وقلت لى فن

وكل ما يشجى حنين الرباب — ضيعته منى
وهذا جناحي صارخ لا يجاب — في ظلمة السجن
ونشوتي صارت بقايا سراب — في حانة الجن
أواه يا فني
لو لم أعش كالناس فوق التراب !

جملت زادي من عويل الرياح — وغربة الطير
ومن أسى الليل ووجد الصباح — وشهقة النهر
وسقتني ظمآن بين البطاح — إلا من السحر
وقلت لي رفرف بهذا الجناح — واشرب من السر
والسر في صدري
قيدت ساقيه بتلك الجراح !

هذه كلمات شاعر ينظر إلى الحياة من خلال « عدسة » فكرية مكبرة ، تكشف الطريق إلى كل خفي من شعاب النفس ، وكل تمريجة في منعطف الشعور هي كلمات فنان وإن شئت فقل كلمات إنسان ؛ واستمع مرة أخرى لخفقة من خفقات القلب الإنساني ، في لحظة من تلك اللحظات التي تمر لكل نفس ألهبتها سياط العذاب ، وألهمتها فلسفة الحرمان ... هناك في « مقابر السحر » :

وهفا بالنفس ما يهفو بغصن في يد الإعصار يعول
ثم قالت كيف عن دمعي ومنك الدمع يا حيران تسأل ؟
إن أكن فيك سكنت الجسم والجسم تراب يتنقل
فأنا طير بعرش الله لي عش ، وبستان ، وجدول
إنما أبكي لهذا القفص الداجي الكئيب المتململ
لم يجد أي عزاء في وجودي ... كيف يغدو حين أرحل ؟!

ولما طال المسير بشاعر الإنسانية ، أمحت دموعه وكفر جفنه ، ومن التقاء الكفر بالإيمان انبعث الهتاف الملتاع ، وانطلقت الزفرة المحرقة ، في طريقهما إلى الله .. هناك في « التراب الحائر »

رباه ! ما أنا ؟ ... هل وجدت على زمان الناس سهواً !
سويتني روحاً تمرد ، لا يطيق الأرض مثوى
وأنا التراب ! فكيف صرت هوى وتعذيباً وشجواً !
شرفات غيبك لا يتحن لغير من يبكي دنوا
وأنا إليك ذرفت أيامي فزاد دمي عتوا
ووقفت أحفر للجراح طريقها ... فتعود شدوا !

ونقلة أخرى تقف بنا عند ظاهرة أخرى لا تقل عن الأولى استثارة باهتمام الناقد ولا إثارة لملكته الناقدة ، ونعني بها ظاهرة الرمزية في شعر الأستاذ محمود حسن اسماعيل ... هذه الرمزية هي التي تدفع بعض الناس إلى وصف شعره بغموض العبارة حيناً وجنوح الخيال حيناً آخر ؛ والحقيقة التي نقررها أنه لا غموض هناك ولا جنوح ، وإنما هو عجز المجالي عن التحقيق في أفق الشاعر ، وقصور إحساسهم عن التجاوب والجو النفسي الذي عاش فيه ، ذلك لأن الرمزية هنا تأتي مطبوعة لا مصنوعة ، وأصيلة لا مقصودة ... الرمزية المطبوعة هي أن يعبر الفنان عن طريق المعنويات ، أما الرمزية المصنوعة فهي التعبير عن الماديات بما وراء المعنويات ، وفي هذا اللون الأخير من الرمزية يكون السخف والدجل والتضليل !

الرمزية في شعر هذا الشاعر تصدر عن منبعين أصيلين : التأمل العميق المنعكس من الحياة على النفس وهو ما يعبر عنه بـ « الاستبطان النفسي » ، وهذا هو المنبع الأول . أما المنبع الثاني فهو « الفيض الشعوري » المنبعث من قوة الشخصية الشعرية أو رحابة الحقل الشعري ؛ ومن هنا تعلى التهويمات الروحية التي تصبغ الشعر بصبغة الرمزية الأصيلة لا الرمزية المتكلفة ، تلك التي لا تهدف إلا إلى الغموض والإبهام ! استمع له يقول في « العزلة » :

صلت بها عيدان — لا تعرف الأديان
واستغفرت أغصان — لكن بلا ذنب
نخيلها حران — ونبعها ظمآن
وصمتها ولهان — شوقاً إلى الغيب
تفجرت أنهار — فيها من الأسرار
يجري بها إعصار — في عالمي الرحب
وهذه أنفاس — في صمتها الوسواس
تدق كالأجراس — في معبد القلب
وهذه حيات — تسعى من الساعات
كأنما الأوقات — غاب نما قربي

هنا لون من الرمزية لا يعجزك فهم مراميه حين تلقاه بشيء

من الروية وإمعان الفكر ... كل ما فى العزلة من خلجات النفس وخفقات القلب وهزات الشعور ، تلك الانعكاسات المادية المحسة قد عبر عنها فى هذه الأبيات بأشياء معنوية ؛ «فالميدان المصلية» بلا دين ، و «الأغصان المستغفرة» بلا ذنب ، و «الأنهار المتفجرة» من الأسرار ، و «الأنفاس الصامتة» التى تدق كأجراس فى معبد القلب ، و «الحيات الساعية» من الساعات ، كل هذه المعنويات التى تنبع من العقل الباطن يمكنك أن تردها إلى وقع العزلة على العقل الواعى ؛ ذلك الميزان الشعورى الذى يسجل ما فى الوحدة من مظاهر الرهبة والصمت ، والرغبة فى اختراق حجب الغيب ، وبطء النقلة فى خطوات الزمن ، وامتلاء الجو بالأسرار ، واستجابة الوجدان لدعاء مجهول يوحى بالتعبد والصلاة ...

ويمثل هذا التطبيق ينجاب ذلك الغموض الذى يطالعك فى بعض قصائد الأستاذ محمود حسن اسماعيل حين تلقاه هنا أو تلقاه هناك .. فى «عرفت السر» و «نهر النسيان» و «الخريف» و «جلاد الظلال» هاتان ظاهرتان أو ناحيتان ؛ ويبقى أن نسجل ناحية أخرى لها وزنها عند الكلام عن الفن التصويرى فى الصياغة الشعرية ، هذه الناحية تتمثل فى الربط بين أجزاء الصورة الوصفية تتمثل فى الربط الشعورى كما تتمثل فى الربط التعبيرى ... ومن اتصال هذا بذاك ، ومن التوفيق فى اختيار الزوايا وتحديد النسب تكتمل الوحدة الفنية التى تخلق من الصورة الكاملة لوحة نابضة تتناسق فيها الجزئيات فى نطاق المدركات الحسية والنفسية ... هذه الظاهرة تستطيع أن تلمسها فى «الشك» و «نشيد الأغلال» و «خمر الزوال» و «المعبد المرجوم» و «الانتظار» ، وتعال نستمع له وهو يصف لحظة من لحظاته :

انتظر هنا ... وطال انتظارى وهى فى أعينى التفات وذعر
وسؤال لكل شىء حوالى وإعادة لكل طيف يمر
وانتباه ، وغفلة ، وربيع وخريف ، وشيب زهر وعطر
وجناح يهفو ، وآخر يهتاج ومن بين ما يرفان طير
وأنا سبب توهج منه لحظاها أيك رطيب وزهر
وهى لا أقبلت ولا عاد منها لشقائى بعودة الكأس خمر

هذا هو الشاعر الإنسانى ، وشاعر الرمزية المطبوعة ، وشاعر الصورة الوصفية الكاملة ، فما هى الفجوات الشعرية التى يتعثر فيها الناقد ولا يستطيع المضى فى طريقه دون أن يشير إليها ؟ .

هى فجوات قليلة ولكنها تعترض سالك الطريق على كل حال ؛ يجدها فى غلبة اللفتات الذهنية حين تخمد الومضات الروحية .. هناك فى «اللحن المقهور» :

ليتنى كنت رباها تهتف الآباد منها
أنا أهواها ولكن رغم أنى لم أكنها

أنظر إلى هذا التعبير النثرى فى قوله «رغم أنى» ... ألا تشعر هنا بشىء من الهبوط فى الإحساس بالجو الشعرى ؟ ! إن هذا التعبير فى رأيى يصلح لمقالة من المقالات لا لبيت من الأبيات

واستمع له مرة أخرى حين يقول فى «أغانى الرق» :

يا سارق القوت نزعت الحجاب عن هذه اللقمة
ما كنت أدرى فتكها بالرقاب أو أنها نقمة
والجوع إن صاح يصيح الخراب وتصعق الأمة

ألا توافقنى على أن أفق الخيال فى البيتين الأول والثانى أفق شاعر ، وأنه فى البيت الثالث أفق ناثر ؟ ...

وأن القالب الشعرى فى قوله : «وتصعق الأمة» تصبغه صبغة الخطب المنبرية أكثر مما تصبغه صبغة التهويمات الروحية ؟

واستمع له مرة ثالثة حين يهتف فى «الرداء الأبيض» :

عشقت فيك الحزن والسوادا وسمرة الخدين والحدادا
وجد ولا تحت الدجى تنادى يا ساقى الحب أغث لى وجدى

وهنا أيضاً يصدمك هذا التعبير «أغث لى وجدى» ... إنه هتاف ينبعث من قريحة اعتراها الخمود بعد وهج التوقد وحرارة الانفعال !

وتأمل معى هذه الصورة الوصفية لوقدة القيظ ولفح الهجير :

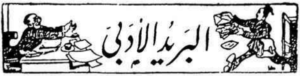
والسنة بيض لحن رطانة يمثل لناها كاهن لم يتمتم
كأن عفاريت الظهيرة طنبوا خياما على هذا البساط المضرم

إن الصورة هنا تبلغ القمة وتصل إلى مدى الأبداع ، ولكن كلمة «عفاريت» قد أفسدت ألوانها الزاهية !

هذه المآخذ التى تنتثر فى مواضع قليلة من «أين المفر» ، لا يمكن أن يخلو منها أثر من الآثار الفنية ...

وأعود فأقرر أن هذا الديوان يثب بالشعر العربى الحديث وثبات قل أن تجد لها مثيلا فى ديوان آخر .

أنور المعداوى



حكم سليمان :

إلى صديق الأستاذ العقاد المحترم

في التوراة مطارق كثيرة لتكسير جماجم الصهيونيين الأنذال

في الإصحاح الثالث من سفر الملوك الأول قصة فحواها أن امرأتين وقفتا بين يدي الملك سليمان تتنازعان طفلا. فقالت الأولى إني وهذه المرأة نسكن في بيت واحد ، وقد ولدت كل منا ولداً ، وفي هذا الصباح صحوت فإذا الطفل الذي على ذراعي ميت ، وإذا هو ابن هذه المرأة ، ورأيت ابني على ذراعها . وإذا الطفل ابنها مات لأنها اضجعت عليه . وقامت وسرقت ابني وادعته لنفسها ، فالطفل الميت هو طفلها ، والحي طفلي . وأنكرت المرأة الأخرى هذا الكلام وقالت بل الحي هو طفلي .

فقال الملك سليمان أيتوني بسيف . فأتوه بسيف . فقال : اشطروا هذا الطفل شطرين واعطوا كلا من المرأتين شطراً .

فصاحت الأولى : رحماك يا سيدي الملك ! لا تشطروه ! اعطوه كله لها . وقالت الأخرى : بل أشطروه واعطوني نصفه ! فقال سليمان الملك : اعطوه للأولى فهي أمه .

فلما سمع جميع إسرائيل بهذا الحكم خافوا سليمان ، لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم

فأين سليمان يحكم بقضية فلسطين ؟ !

هيئة الأمم قطيع غنم رعاه ذئاب !

ومجلس الأمن جمعية لصوص متآمرين !

فما بقي إلا محكمة العدل في لاهاي ... فهل فيها سليمان ؟

أجل ، فيها البدوي باشا رئيسها ، وهو مصري عربي .

ولكن ، ألا تنبت هناك رؤوس أفاعي الصهيونية ؟ أو عبيد الصهيونية مثل ترومان ؟ !

قضية فلسطين أوضح من قضية المرأتين المتنازعتي الطفل !

الصهيونيون يقولون : اشطروا فلسطين شطرين : لنا شطر وللعرب شطر !!!

والعرب يقولون : لا تشطروها هي لسكانها المقيمين فيها ..

عرب ويهود على السواء !

فأين سليمان يحكم ؟ هل يتقمص في برنادوت ؟ !!

نقولا الحداد

في محيط النحو :

جرى النحاة على اعتبار كلمة (أشياء) ممنوعة من الصرف ، والتمسوا لذلك الحكم عللا غريبة ؛ فمنهم من اعتبرها اسماً مفرداً منتهياً بالألف الممدودة ليبرر منعها من الصرف ؛ وهذا غريب جداً ، لأن قصد الجمع واضح كل الوضوح في هذه الكلمة . ومنهم من قرر أنها محولة عن (شيئاء) ؛ ومنهم من تعسف فادعى أنها جمع (شيء) على وزن (سيء) وقال إنها في الأصل (أشيئاء) على وزن (أدعياء) ثم حصل فيها ما ادعاه من قلب وحذف مما لا محل لعرضه على القارئين .

والذي استطعت أن أهتدي إليه بعد روية وتأمل أن الكلمة جمع (شيء) ووزنها (أفعال) ومثالها جمع (فيء) وهو (أفياء) وحقها أن تكون مصروفة كما صرفت (أفياء) وأمثالها ولا حجة لمن منعها الصرف بورودها غير منونة في الشعر ، لأن الضرورة الشعرية تبيح صرف الممنوع والعكس ؛ ولكنهم وجدوها في القرآن الكريم في سورة المائدة غير منونة ، فقد جاءت في قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم) ويخيل إلي أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلل التي أوردوها ولكنه نتيجة القاعدة العامة التي اتفق عليها النحاة وهي جواز صرف منع الصرف وصرف الممنوع للتناسب والضرورة ، وما التناسب إلا مراعاة الانسجام في جرس الكلمات وائتلاف النغم بين أجزائها ؛ ولذلك قرىء في المتواتر (سلاسلا وأغلالاً وسعيراً) وكلمة (سلاسل) ممنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى الجموع، ولكنها صرفت لتنسجم مع (أغلالا وسعيراً) وقرىء (ولا يغوثا ويعوقا ونسراً) و (يغوث ويعوق) ممنوعان من الصرف للعلمية ووزن الفعل ، ولكنهما صرفا في هذه القراءة المتواترة لينسجم جرسهما مع (نسراً) وكذلك (كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديراً) . فإن قوارير الأولى نونت لتناسب فواصل الآيات .



المجنـــونة

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

للأديب جمال الدين الحجازي

قال المسيو دندلين لأصـدقائه وهو ينفث دخان سيجارته في بيت البارون رافوت شاتو : « سأقص عليـكم أيها الرفاق قصة مخيفـة وقعت حوادثها في الحرب البروسية الفرنسية » إنكم تعرفون البيت الذي كنت أسكنه في « فابورج دي كورميل » كانت جارتي هناك امرأة مجنونة لطيفة ! وقد فقدت شعورها أثر نـكبات شديدة نزلت بها ، ففي العـقد الثالث من عمرها توفي والدها وزوجها وطفلها الذي ولد حديثاً توفي جميع هؤلاء خلال شهر واحد ! وكأن الموت استطاب الرجوع إلى بيتها لاختطاف جميع أفراد عائلتها دون إعطاء مهلة كافية ! فتغلبت عليها الأحزان ، وانتابتها الأزمات الشديدة ، ومكثت في فراشها ستة أسابيع في هذيان دائم كانت خلالها لا تأكل شيئاً إلا مايسد رمقها ، ومكثت في فراشها لا تقوى على الحركة وما أن أبصرها البروسيون حتى تملـكتهم الحيرة وحاولوا مراراً إنهاضها من فراشها ، فـكانت تصرخ في وجوههم وقد ظنت بأنهم سيقتلونها ، فلم يجدوا بداً من تركها في فراشها إلا أنهم أخرجوها أخيراً من البيت لإزالة ما علق على جسمها من الأوساخ ولتغيير ملابسها الـكتانية . ومكثت بجانبها خادمة صغيرة لإعطائها بعض ما تحتاجه من طعام من وقت لآخر .

تُرى ما هي الأحداث التي ألمت بتلك المرأة حتى أصابهـا الجنون واليأس من الحياة ؟ ذلك ما لم يدرك كنهه أحد ، أتراها كانت تحـــلم بالموتى وتتراءى لهـا خيالاتهم ، أم أصبحت ذاكرتها ضعيفة واهية كالمـاء الراكد الآسن ؟ لم يدر أحد ،

فالمحافظة على حسن الجرْس والانسجام من عادة العرب ، والقرآن الـكريم نزل على رسول الله بلسان عربي فلم لا نقول إن كلمة (أشياء) لم تنون لظرف خاص في محيطها في الآية الـكريمة إذ لو نونت لتوالى مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شيء واضح من الثقل الذي يأباه تآلف النغم في القرآن الـكريم وهذا التآلف من أسرار الإعجاز ؛ فقرئت كلمة (أشياء) غير منونة لأنها مرتبطة بجملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضي وصلها ، وهذا يوجب تـكرار لفظ (إنْ) مرتين متواليتين ، فمن أجل ذلك لم تنون (أشياء) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة (أفياء) في الوزن والإعراب .

محمود البشبيشي

المفتش بمنطقة الاسكندرية التعليمية

في اللغة :

في جريدة « البلاغ » سأل سائل الدكتور زكي مبارك فقال : أيقال : وكان القارب مقطوراً إلى المركب ، أم يقال : وكان القارب مقطوراً بالمركب ؟

وتفضل الدكتور بالإجابة ، فبين أن الزمخشري في أساسه يقول : إبل مقطورة . . وهي مقطور بعضها إلى بعض ، وقطر البعير إلى البعير » ثم أردف هذا برأيه فقال : وأنا أقول إن عبارة « القارب مقطور بالمركب » لها وجه صحيح . ونحن نرى بعيوننا أن القارب يشد إلى المركب بحبل غليظ .

وأقول : الصحيح قول الزمخشري لا رأي « الزكي » إذ لو سأل سائل : ما المقطور ؟ كان الجواب : القارب . ولو سأل : وما المقطور به . كان الجواب : الحبل الغليظ . والحال أن السائل إنما يسأل عن المركب وهو المقطور إليه لا المقطور به .

ولو أردنا التوفيق بين قولي الزمخشري والزكي اللغوي لكان الصواب هو « وكان القارب مقطوراً إلى المركب بحبل غليظ » وكفى الله اللغويين شر القتال ، وسوء المقال .. والسلام .

(الزيتون) عدنان

ومكثت خمسة عشر عاماً على هذه الحالة التعسة .

نشبت الحرب ، وفى أوائل شهر ديسمبر احتل الألمان كورميل وإنى لأذكر ذلك كأنه حصل البارحة كان الطقس بارداً بل متجمداً وكنت جالساً على كرسى لم أستطع الحركة ، عند ما سمعت صوت أقدامهم الثقيلة الخطوات المنتظمة الصفوف ، ورأيتهم من النافذة يمرون فى الشوارع وقد انتظموا فى صفوف كثيرة ، وبعدئذ أمر الضباط جنودهم بأن ينزلوا فى بيوت سكان البلدة فنزل فى بيتى سبعة عشر رجلا ، وكان من نصيب جارتى اثنا عشر ، وكان القائد من بينهم . وفى اليوم التالى وصلت الأنباء إلى الجنود الذين كانوا يقيمون فى بيت المرأة المجنونة بأنها مريضة ، إلا أنهم لم يقيموا وزناً لمرضها ولم يأبهوا له ، ولما سألوا عن سبب مرضها علموا أنها طريحة الفراش منذ خمسة عشر عاماً وذلك لتوالى النكبات التى نزلت بها والأحزان التى تغلبت عليها فأورثتها الأمراض ، إلا أنهم ولا ريب لم يقيموا لذلك وزناً ، واعتقدوا أن تلك المرأة متكبرة وأنها ملازمة فراشها لكى لا يقع بصرها عليهم ، أليسوا أعداء بلادها ، ذلك ما فكروا فيه .

أصر القائد على رؤيتها ولما وصل إلى غرفتها قال لها غاضباً : يجب أن تنهضى من فراشك وتنزلى إلينا « فلم تجبه » فواصل القائد حديثه قائلا : إننى لا أحتمل هذه الغطرسة والكبرياء ، فإن لم تنهضى من فراشك فسأضطر إلى إنزالك بالقوة » ولكنها لم تجبه ولاذت بالصمت . وحينئذ رجع الضابط إلى غرفته وقد اشتد غضبه واتخذ من صمتها أداة لاستعمال الشدة معها .

وفى صبيحة اليوم التالى ، أرادت الخادم تغيير ملابس المجنونة ، إلا أن المجنونة بدأت تصرخ صراخاً عالياً وقاومت ذلك ما استطاعت ، وما أن سمع القائد ذلك الصراخ حتى ذهب إليها ، ولما رأته الخادم رمت نفسها على قدميه باكية وقالت له : إنها لا تستطيع النزول يا سيدى ، لا تستطيع ، أرجو أن تسامحها فهى مسكينة » .

ولما رأى القائد ذلك ، ضحك ضحكة خبيثة وألقى بعض الأوامر إلى جنوده ، فأقبلوا وهم يحملون بين أيديهم فراشاً اتجهوا به نحو تلك المرأة المجنونة . اقترب أحد الجنود من فراشها وقال لها متهكما وهو يفرك يديه : سنرى الآن هل تخلعين ملابسك وتستبدلينها بثياب نظيفة وتسيرين فى نزهة قصيرة أم لا ! ثم سار الجنود فى غابة « اموفيل » وبعد ساعتين رجعوا وحدهم . لم يدر أحد ماذا حصل للمجنونة ولم يعثر لها على أثر ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وأين أخذوها ، لم يعلم بذلك أحد .

بدأ الثلج يتساقط ، وغطى السهول والغابات فجاءت الذئاب وهى تعوى واقتربت من بيوتنا ، مكثت مدة أفكر فى تلك المجنونة الضائعة ! وحاولت مراراً الاستعلام من السلطات البروسية عن مصيرها دون جدوى . ولما عاد الربيع انسحبت جيوش الاحتلال وبقى بيت المجنونة مغلقاً ، وكانت خادمتها قد توفيت فى الشتاء الماضى ! ولم يهتم بالحادث أحد سواى إذ كنت أفكر فى مصير تلك المرأة آناء الليل وأطراف النهار ، ترى ماذا صنع بها أولئك الجنود وهل هربت إلى الغابة ، أو عثر عليها أحد من الناس وأخذها إلى المستشفى رغماً عنها ، ولم أجد ما يزيل شكوكى ولكن المصادفات والمقادير تدخلت فى الأمر فأزالت هذه الشكوك ، إذ بينما كنت فى الغابة وكان الفصل خريفاً أصطاد بعض الطيور الجارحة ، وقع أحدها جريحا فى حفرة مليئة بالأغصان ولما نزلت إلى الحفرة لالتقاطه رأيت حطام جثة آدمى فى الحفرة ، يا إلهى ... ترى من يكون صاحبها ، وحينئذ تذكرت حالا تلك المرأة المجنونة ، قد يكون كثير من الناس ماتوا فى الغابة أثناء النكبات التى حلت بهم فى تلك السنة ، ولكننى لا أدرى لماذا كنت متأكداً ، بل متأكداً جداً بأننى أرى رأس تلك المجنونة وأن هذه الجثة جثتها !

وعرفت بعدئذ أن الجنود قد تركوها فى هذه الغابة ، وأنها نظراً لتمسكها بمبادئها التى أخلصت لها لم تمبأ بموتها فى تلك الغابة الموحشة ، لقد مزقتها الذئاب وبنت الطيور أعشاشها من بقايا فراشها الصوفى الممزق !

ولما رأيت هذه المناظر البشعة المحزنة كدت أبكى من شدة تأثرى ودعوت الله مخلصاً أن يبعد شبح الحرب عن أولادنا ، فلا يرونه أبداً .

(القدس) جمال الدين الحجازي

الندوة الأدبية